

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République algérienne démocratique et populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة

قسم اللغة و الأدب العربي
المرجع:

معهد الآداب و اللغات

رواية الضوء الأزرق لحسين البرغوثي "دراسة موضوعاتية"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتور: جمال سفاري

من إعداد الطالبة:

❖ نجاة زغمار

السنة الجامعية: 2022 - 2023

شكر وتقدير

أقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الدكتور الفاضل
"جمال سفاري" الذي كان لي الشرف الكبير بأن يتولى
الإشراف على هذه الدراسة والذي منحني ثقته ولم
يخل عليا بنصائحه القيمة خصوصا على الجهودات
التي بذلها في إطار متابعته الدائمة لهذا العمل
وتعهده بالتصويب في جميع مراحل إنجازه وتزويده
بالتوجيهات والإرشادات التي أضاءت أمامي سبيل البحث
فجزاه الله عني خيرا.
كما أقدم بشكري إلى كل من الدكتور بن سخري الزوبر
والدكتور عبد الغاني قبايلي الذين تكرموا في قبول قراءة
ومناقشة هذه المذكرة .

مقدمة

تتوعد مناهج النقد الأدبي، كل حسب منظوره للظاهرة الأدبية، حيث أجريت الكثير من الدراسات حول هذه المناهج، لاستجلاء غوامضها ومحاولة فهمها بأدوات متطورة وطرق جديدة ورؤى معاصرة، جرت العادة منذ عقود من السنين أن نتحدث عن الموضوعات في الدراسات الأدبية وظهرت المجموعات الموضوعاتية في كتب الدراسات النقدية الأدبية، التي غالبا ما تتكلم عن شكل وموضوع نص ما، ولكنه مع ذلك يبقى إشكالية إذا حملناه على الاتجاه النقدي الذي أعطاه اسمه، أي أن اللفظ أو المصطلح لم يعد مجرد كلمة نردها على ألسنا بمعناها المعجمي البسيط الذي تناولته المعاجم، خاصة ونحن في عصر العلم والمنهج الذي يستند إليه أي منهج نقدي، أي أن كل قضية أدبية أصبحت تدرس بالمنهج، وهكذا أصبح لكل قضية من قضايا النص الأدبي منهجا علميا يوثقها ويحمل اسمها، ومن أبرز هذه المناهج: المنهج الموضوعاتي إذ يعد حديث النشأة من حيث التسمية والمولد، وهو من المناهج التي حظيت بالاهتمام في العالم، ويعد هذا المنهج مهما لدراسة الأعمال الفنية على اختلافها، ومنها الرواية التي لا يقاس ثراؤها المعرفي والفكري، لما تزخر به من تعدد وتنوع موضوعاتي، إضافة إلى أنه منهج منفتح على الداخل والخارج، مما يتيح إلى حد ما الإحاطة بالنص من عدة مستويات لتتمكن الرواية بأبعادها المختلفة أن توضح لنا كل ما يتعلق بالجانب الموضوعاتي وهذا ما جعلني أختار لدراستي موضوعا، تمت عنونته "الضوء الأزرق لحسين جميل البرغوثي دراسة موضوعاتية" ودرستها من منظور المنهج الموضوعاتي، عن رغبة ملحة في اكتشاف أسس النقد الموضوعاتي، وعن مدى إمكانية تحقيقه في هذه الرواية، ولما له من أهمية في الكشف والتوصل إلى المعاني والمواضيع المطروحة وتوصيلها إلى القارئ، من أجل التأثير فيه مما يساعده على الغوص في عالم الرواية.

من خلال هذا العمل يتم عرض الموضوعات التي تطرقت إليها الرواية، استنادا إلى الإشكالية التالية: ما هي الموضوعات المهيمنة في رواية الضوء الأزرق؟ في ظل اللغة المعقدة التي تتسم بالإيحائية.

ومن ثمة فاختياري لهذا الموضوع هو بالدرجة الأولى، الإعجاب بروايات حسين البرغوثي ولغته الشعرية، أما السبب الثاني فيتمثل في محاولة تطبيق المنهج الموضوعاتي في المتن الروائي، وكذلك عن رغبة ملحة في اكتشاف ومعرفة أسس النقد الموضوعاتي، وعن مدى إمكانية تحقيقه في مجال الرواية، لقد دفعني إلى تناول هذا الموضوع رغبتني في الكشف والغوص في غمار هذه التجربة، وإلقاء المزيد من الضوء عليه بشكل يكشف عن أبعاد هذا المنهج من حيث مفاهيمه ومصطلحاته وأساسه ومقولاته، وذلك للإحاطة به وتكوين فكرة عنه ومحاولة لاستنتاج النص الروائي الفلسطيني، من خلال تشكل البنية الفكرية والمعرفية والدلالية وكذا الانحياز للرواية الفلسطينية التي تعتبر جزء لا يتجزأ من الأدب العالمي والعربي، وخاصة الرواية المكتوبة باللغة العربية، التي تعاني من تعميم ومحاولة نفي.

والهدف الرئيسي من هذه الدراسة، هو معرفة الموضوعات الرئيسة والثانوية التي تضمنتها الرواية، ومحاولة الكشف والتوضيح عن الجديد الذي قدمته والبحث عن مواضيعها أما المصادر والمراجع حول هذا الموضوع فهي قليلة جدا مقارنة بالدراسات والمناهج الأخرى ومع ذلك بحثت في ما توفر لي من مجموعة من المراجع، أذكر أهمها على حسب استعمالها والرجوع إليها في البحث منها: سعيد علوش في كتابه الموسوم "النقد الموضوعاتي" ومحمد عزام في كتابه "المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي".

اعتمدت في معالجاتي لهذا البحث على المنهج الموضوعاتي الذي فرض نفسه، كونه المناسب والبارز لطبيعة الموضوع والقريب إلى عملية استقراء الظواهر والموضوعات التي عالجتها الرواية، وكونه موضوع البحث ولأنه يبحث داخل الموضوع الأساسي بالاعتماد على نقاط نفسية وفلسفية، وهذا هدفي المنشود.

اقتضى البحث وضع خطة تتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة وملحق.

مقدمة: وفيها طرحت إشكالية البحث، وإحاطة بأهمية الموضوع والمنهج المعتمد في دراسة الرواية، إضافة إلى إبراز الخطة المعتمدة.

جاء الفصل الأول موسوما بعنوان " المنهج الموضوعاتي مفاهيم وأسس وإجراءات "، وقد تناولت فيه عشر عناصر وهي العنصر الأول مفهوم المنهج، والعنصر الثاني تطرقت فيه إلى مفهوم الموضوع والعنصر الثالث عرفت فيه الموضوعاتية، والعنصر الرابع تناولت فيه إرهابات المنهج الموضوعاتي، والعنصر الخامس ذكرت فيه أهم رواد هذا المنهج، والعنصر السادس كان تحت عنوان الموضوعاتية وأهم تأثيراتها الفكرية والفلسفية، أما العنصر السابع درست فيه علاقة الموضوعاتية بالمناهج الأخرى، وبالنسبة للعنصر الثامن تناولت فيه الآليات الإجرائية للمنهج الموضوعاتي، والعنصر التاسع تم ذكر فيه خصائص هذا المنهج وأهم خطواته، ثم نقد هذا الموضوع كعنصر أخير، لأختم الفصل بخلاصة قدمت فيها جملة من النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة.

أما الفصل الثاني فقد جعلته فصلا تطبيقيا ليتم إدراجه تحت عنوان "موضوعات رواية الضوء الأزرق" ليتم فيه استخلاص المواضيع الذي تناولها حسين البرغوثي في هذه الرواية ثم أنهيت الفصل الثاني بخلاصة توصلت إليها بعد استقراء الرواية.

ثم خاتمة وهيا عبارة عن حوصلة لكل ما سبق، فجاءت على شكل جملة من النتائج المتوصل إليها من خلال إنجاز هذا البحث، وقد ختمت بحثي هذا بلمحق جمعت فيه ملخص الرواية باللغة العربية والأجنبية، وأهم الكلمات المفتاحية، وتعريف شامل للكاتب حسين البرغوثي وأعم أعماله، ثم قائمة لأهم المصادر والمراجع، ثم قائمة فهرس الدراسة.

على الرغم من الصعوبات التي جابهتني أثناء إنجاز هذا البحث، والمتمثلة في قلة المصادر والمراجع، أي عدم وجود آليات منهجية واضحة أعتمد عليها لتطبيق هذا المنهج وصعوبة فهم

الرواية بسبب غموضها، إلا رغم ذلك فقد تم إنجاز هذه الدراسة بعون الله واستطعت أن أجتاز تلك العقبات وأخطاها بجرأة علمية، وأعتذر مسبقاً عن أي خطأ.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أحمد الله وأشكره على توفيقه لي في القول والفعل والعمل فإن أصبت فالله الحمد بدءاً وختاماً، وإن أخفقت فحسبي أن أنال أجر الجهاد، لكل شيء إذا ما تم نقصان والكمال لله عز وجل، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل جمال سفاري على نصائحه وتوجيهاته لي فجزاه الله عني ألف خير.

الفصل الأول

لقد أصبح لكل قضية من قضايا النص الأدبي منهجا علميا يوثقها ويعالجها ويحمل اسمها حيث تعددت الاتجاهات النقدية في القرن العشرين في العالمي الأوروبي والأمريكي، من نقد اجتماعي تاريخي، نفسي، هذا ما أدى إلى الاهتمام بالقضايا الفنية والجمالية التي غالبا ما تتوفر في المناهج، والتي تعتمد على قراءة النص قراءة أسلوبية، لغوية، تحليلية، موضوعية، تكشف عن العلاقات وتضيء جوانب العمل الأدبي، وتكشف عن حقيقة متجاوزة للاتجاهات النقدية التي سادت آنذاك، مثل النقد الاجتماعي والتاريخي، حيث ظهر المنهج البنيوي الذي يعني بدراسة بنية النص، وأصبح للأسلوب منهجا أطلق عليه الأسلوبية، كما أن هناك المنهج السيميائي الذي يعني بدراسة وتتبع العلامات، وبما أن الموضوع من القضايا المتعلقة بالنص الأدبي، هو الأخير أن له أن يتعالج وفق منهج علمي كغيره من المناهج المتعلقة بالنص، وبهذا ظهر المنهج الموضوعاتي الذي اكتسب قوته من الممارسة، وتقاطعته مع العديد من المقاربات في أواسط القرن التاسع عشر ضمن تيار النقد الجديد الذي انبعث بعد جدال بين أنصار الحداثة ومعارضيه، وسط كل هذا الجدل حاول مجموعة من نقاد الغرب التأسيس له كغيره من المناهج وفق أعمالهم ودراساتهم النقدية، أمثال غاستون باشلار وجون بولي ريشارد.

والمنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي قد تجاوز القارتين الأوربية والأمريكية إلى جميع أنحاء العالم ومنها الوطن العربي، النقد العربي عرف هذا المنهج متأخرا فانتقل مع ما تنقل من مناهج نقدية ومذاهب أدبية من خلال نقاده الذين أطلعوا على الثقافة الفرنسية وأجادوا لغتها فالخطاب النقدي العربي ظل يخلو من الموضوعاتية التي ظهرت خلال فترة الثمانينيات من القرن الماضي، بحيث حاول مجموعة من النقاد العرب من خلال أعمالهم الأدبية وبحوثهم ودراساتهم الوصول والكشف عن رؤية العالم في النص، وكانت أولى اهتماماتهم الشكل والمضمون والعلاقة التفاعلية بينهم، محاولين الاستناد إلى المناهج الغربية والاتجاهات الفكرية والفلسفية والأدبية.

والمنهج الموضوعاتي شأنه شأن معظم مناهج النقد يهتم بموضوع العمل الأدبي، ويعتبر الأدب مستودعا لشتى الأفكار التي تسمح لنا بالتجول في كل دروب المعرفة، مستفيدا من جميع الإمكانيات المتاحة سواء كانت إمكانيات معرفية أو منهجية.

فالنقد الأدبي لم يعد اليوم مجرد أحكام نقدية عفوية وتعسفية، كما كان في بداية نشأته تحكمه النزعة الانطباعية ولا يستند إلى قواعد صحيحة، وإن نشأ بسيطاً فإنه لم يبق على حاله بل تطور وأصبح قائماً بذاته أكثر موضوعية وعلمية، له مناهجه ونظرياته ومدارسه واتجاهاته، وقد تنبه الباحثون إلى ضرورة التوسع في دائرة النقد بحلول القرن العشرين، وأصبح الناقد يتفادى الحكم على العمل الأدبي وفق مزاجية ودوافع لا علاقة لها بالأدباء، ذلك لأن النص الأدبي له دوافع وظروف مهما كان نوعها قد ساهمت في تكوينه فلم ينشأ من عدم.

المنهج الموضوعاتي أعده النقاد من أهم المقاربات النقدية، وفي ظل هذا التعدد للمناهج ضمن منهج واحد، واجهه أو بالأحرى وجد المنهج الموضوعاتي نفسه محاطاً بجملة من التساؤلات والإشكاليات، سأحاول توضيحها في هذا الفصل خاصة بما يتعلق بالجانب النظري منه من حيث المفاهيم والمصطلحات والإجراءات.

أولاً: مفهوم المنهج:

1-1- عند الغرب:

1-1- أ- لغة:

يقابل مصطلح المنهج في اللغة الفرنسية "Méthode" ، وفي اللغة الإنجليزية "Méthode" ويعود أصل هذه الكلمة إلى اليونان "Méthodes"، بمعنى الطرائق أي: الطريق أو السبيل أو الوسيلة المستخدمة بعمل شيء ما، أو هو العملية المتبعة للحصول على شيء ما أو موضوع ما.¹ ورد مصطلح المنهج في قاموس الأكاديمية الفرنسية بمعنى: "طريقة قول أو القيام بعمل معين وفقاً لتنظيم معين وتبعاً لمبادئ معينة".²

هنا يصبح المنهج جملة من القواعد والقوانين التي تتحرك في إطار نظام معين.

1-1- ب: اصطلاحاً:

لقد عرف مفهوم المنهج تطوراً كبيراً عند الغرب منذ العصر اليوناني، فعند أفلاطون عرف المنهج "الحوار الديالكتيكي"،³ ومع أرسطو "عرف بمنهج الاستقراء"،⁴ وقد سيطر هذا المنهج إلى غاية القرن السادس عشر، حتى جاء فرانسيس بيكون "مؤسس المنطق الحديث"، ثم أتى ديكارت الذي يعتبر أول من تطرق إلى قضية المنهج، فسعى إلى إقامة المنهج العلمي على أساس العقل وليست التجربة أساس اليقين وأن أفكار ذلك العقل تبلغ حداً من الوضوح والبداهة، تعجز عن منعك عن شك في صدقها.

1- ينظر: فاضل شامل، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط1، ص 218.

2- J ,Smitsimp : l'Académie Française ,dictionnaire L'Académie Française,5ém_ Lib Faubourg Germain , année 1798.

3- هاني يحي نصرى: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة، أفلاطون، مجلة المعرفة، ع 452، أيار، 2001، الكويت، ص 10.

4- أرسطو طاليس: منطق أرسطو، ت ح، عبد الرحمان بدوي، ج1، مكتبة المطبوعات، دار القلم، بيروت، ط1980، ص 275.

فيعرّف المنهج: "الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي تقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها"¹ ومع حلول القرن التاسع عشر سيطر المنهج العلمي على كافة العلوم، بما فيها العلوم الإنسانية لكن سرعان ما أفلت النص الأدبي من قبضة المنهج العلمي، الذي لم يستطع احتواء الظاهرة الأدبية أو إيجاد قانون نهائي وعام لها، فالأدب هو ظاهره ذاتية فرضيته تختلف من شخص إلى آخر ومن زمان إلى آخر، مما دعا إلى ضرورة التفكير في النص الأدبي فظهرت البنيوية ثم تلتها مناهج أخرى كالسيمياء والتفكيك...، ورغم وجود كل هذه المناهج النقدية، إلا أن النص الأدبي لا زال يثبت عصيانه لهذه المناهج وأدواتها الإجرائية.

المنهج بصفة عامة هو سلسلة من العمليات المنظمة، التي يهتدي بها الباحث في عملية البحث والكشف عن الحقيقة.

1_2: عند العرب.

1_2_أ: لغة

المنهج كلمة مشتقة من الفعل نَهَجَ، وقد ورد هذا الفعل في العديد من المعاجم العربية القديمة والحديثة نذكر منها:

جاء في مختار الصحاح النَّهْجُ بوزن الفلس، المُنْهَجُ بوزن المذهب، والمنْهَاج الطريق الصحيح الواضح...، ونهج الطريق أبانه وأوضحه².

ورد في "معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي أن المنهج من "مادة نهج: نهج: طريق نهج: واسع واضح، وطريق نهجه، ونهج الأمر وأنهج، لغتان، أي: وضح ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج: الطريق الواضح، قال:

وأن أفوز بنور أستضى به أمضى على سنه منه ومنهاج"³.

1- محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص 52.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ضبط، وتخريج، وتعليق، مصطفى الديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990، ص 429.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتباً على حروف (10)، ت: ح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج4، 203م، ص 270.

و من هذه المعاجم ألاحظ أن للمنهج دلالات لغوية تحيل على: الإبانة والوضوح، وسيلة يسعى إليها الناقد للوصول إلى الحقيقة، لطريق الواضح، مسلك للكشف عن كل ما هو غامض.

2_1- ب :اصطلاحا:

يعرف عبد الرحمن بدوي المنهج بقوله: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيم على سير العقل، وتحديد عملياته متى يصل إلى نتيجة معلومة¹".

المنهج في أبسط تعاريفه وأشملها "طريقة يصل بها الإنسان إلى الحقيقة"²، وعليه فالمنهج يوفر للباحث الطريق والسبيل الواضح التي يوصله إلى بلوغ حقيقة من الحقائق، في مجال من المجالات التي يسعى لدراستها، فالمنهج يتكون من مجموعة من القواعد المترابطة منطقيا، والتي تنطلق من شروط معينة لتصل لأهداف معينة، أي معرفة الحقيقة الموضوعية، ولا يمكن تصور تطور في البحث العلمي دون منهج، فغيابه يؤدي إلى الفوضى باعتبار أن المنهج يشمل القوانين والقواعد التي يسير عليها كل بحث.

والذي يمكن استخلاصه من هذه التعارف أن المنهج وسيلة للبحث، تضبطها مجموعة من الأدوات والقوانين الإجرائية، التي تستخدم لإخضاع المعطيات الفكرية لدراسة العلمية، قصد الوصول إلى نتيجة تكشف لنا الحقيقة في علم من العلوم.

1- عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، 1963، ص 5.

2- علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي، مطبعة العاني، بغداد، د ط، 1970، ص 13.

ثانيا - مفهوم الموضوع :

1-2- عند الغرب:

1-2- أ- لغة:

ذكرت عدت تعاريف للموضوع أذكر منها: دومينيك مونقانو dominic mongano: "الموضوع هو Thème المرادف لكلمة LopiQue ويتحدد في كل شكل من أشكاله بأنه بنية دلالية كبرى ويتحدد في نطاق النقد الموضوعاتي على شكل شبكة من الدلالات، أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما في عمل¹."

وفي النقد الأدبي نجد أن هذا الأخير يعرف الموضوع: "عبارة عن طبقة مختلفة من الدلالات الضمنية المزودة بعدد لا نهائي من الفروق الدقيقة التي تبرز منها الفكرة أو رمز أو صورة أو أكثر، لتفرض نفسها على سياق العمل الأدبي بدلالات متنوعة ومختلفة"²، ويستعمل مصطلح الموضوع، لتوصيف الوحدة الدلالية للنص³."

إذن فالبنية التركيبية لا غنى لها عن الدلالية التي تضيف معنى آخر للموضوع، ليصبح أكثر من لفظ أو فكرة أو من خلال انتسابه للعائلة اللغوية، يتحدث نوعه كالترادف والإحالة والروابط اللغوية الأخرى.

1-2- ب - اصطلاحا:

الموضوع هو المكون الأساسي للجملة والنص يرى رولان بارت " أن الموضوع مكرر بمعنى أنه يتكرر في كل الجمل، ويعد هذا التكرار تعبيراً عن خيارى وجودى"⁴، فالسمة التي تتوافق مع الموضوع هي التكرار لأنه يعد أحد المفاهيم الأساسية للموضوع.

1- يوسف وغيلسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 150.

2- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط1، ص 256، 257.

3- دومينيك مونقانو: المصطلحات والمفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحيياوش، منشورات الإختلاف، ط9، 2005، ص 118.

4- يوسف وغيلسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ومنشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 1430 هـ،

كما أجد تعريف آخر للموضوع: "هو في النص النقطة التي تتبلور عندها الحدس بالوجود الذي يتجاوز النص، وفي ذات الوقت لا يوجد مستقلا عن الفعل المؤدي إلى إظهاره"¹، يؤكد هذا التعريف على أن الموضوع تتجاذبه عوامل نصية وعوامل وجودية، فالموضوع هو مضمون ما يجول في خاطر وليس في الذات وموضوع الكلام هو المادة التي يجري عليها البحث شفويا أو خطيا.

2-2: عند العرب.

1-2-أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، "أن كلمة موضوع من مادة "وضع": فالوضع: ضد الرفع، وضعه، يضعه، وضعا وموضعا، ومن المعاني التي ذكرها أيضا قوله: تواضع القوم على شيء اتفق عليه، وأوضعتة في أمر إذ وافقته فيه على شيء، ووضع الشيء في المكان: أثبت فيه والمواضعة: المناظرة في الأمر، والمواضعة أن تواضع صاحبك أمرا تناظره فيه"².

كما وردت في معجم الوسيط أنه "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"³. ومن هنا يمكن القول إن الموضوع هو المادة الأساسية التي يعتمد عليها الفكر، سواء عن طريق الكلام أو عن طريق الكتابة بغرض تفصي وتمعن الأحداث.

الموضوع يعني " ما أضمر ولم يتكلم به"⁴، وهذا يندرج ضمن جذر أو مادة (و، ض، ع) وهذا ما جاء به في لسان العرب، أي أن الوضع يعني الإضمار بينما الرفع يعني الإظهار، فالجذر اللغوي قد أفرز عددا من المشتقات من بينها كلمة (موضوع)، التي تعني المضمرة والخفي، كما تعني الكشف والإبانة، وبصيغة أكثر تبسيط الموضوع هو المضمون التي يحمل الرسالة بين طرفين أو أطراف متعددة.

2-2-ب: اصطلاحا:

1- دنيل برحيز: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1997م، ص 112، 113.

2- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، د ط، 1988م، ص 941

3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، د ط، 1425هـ، 2004، ص 1040.

4- ابن منظور: المرجع نفسه، ص 396.

يعرف الباحث جبور عبد النور الموضوع في المعجم الأدبي " بأنه مضمون ما يجول في خاطرنا وليس في ذاتنا، وفي هذا المعنى يدل الموضوع على إحساس أو عاطفة أو صورة، وليس بالضرورة على شيء موجود في العالم ما له وجود في ذاته، مستقل عن الفكرة التي تكون في ذهننا عنه"¹، فالموضوع هو المبدأ الأساسي الذي تلتقي عنه جميع المفاهيم التي تؤسس للمنهج الموضوعاتي، والموضوع مصطلح يستخدم في مضمار النقد الموضوعاتي للدلالة على النقطة التي تتبلور عندها الحدس بالوجود، الذي يجتاز النص دون أن يكون مستقلا عن الفعل المؤدي لإظهاره. فالموضوع هو الفكرة التي يركز عليها العمل الأدبي وينطلق من الذات والمحيط، ولكل عمل أدبي موضوع.

ومن المفيد أن هذه الكلمة تستعمل في الاصطلاح الموسيقي، بمعنى القطعة الإيقاعية التي يبني عليها العمل الموسيقي، وهي دلالة لا تختلف عن الدلالة المتأخرة بكلمة موضوع في العربية، إذ تدل " المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب عالمه"²، فالموضوع هو جملة دلالية مجسمة ومكبرة أو عناصر نصية غير مستمرة، تعد تصورا وتعبر عن الوحدات التجريبية الأكثر شمولية.

ثالثا : الموضوعاتية المصطلح والمفهوم

1_3 عند الغرب:

الموضوعاتية "Thématique" مصطلح نقدي جديد اشتق من الموضوع، وقد عملت المعاجم على وضع تعريف للموضوعاتية يدور في فلك الموضوع، ورد في قاموس لاروس الموسوعي "إن الموضوعاتية نقد موضوعاتي الدراسة الثابتة في عمل أدبي أو عند كاتب ما"³. والموضوعاتية منهج نقدي " ظهر في الخمسينيات من القرن العشرين في النقد الفرنسي الذي تطور في الألسنية والبنويية"⁴.

1- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ص 273.

2- يوسف وغيلسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، د ط، د ت، ص 169.

3- محمد السعيد عبدلي: البنية الموضوعاتية في عوامل نجمة للكاتب ياسين، أطروحة الدكتوراه، إشراف أحمد منور، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2009، 2008، ص 16.

4- محمد عزلم: وجوه الماس البنيات الجزرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورا اتحاد العرب، دمشق، ط1، 1998، ص 14.

وهذا ما يفسر تفرد المعاجم الفرنسية في التطرق لمصطلح الموضوعاتية، تبلور من المفاهيم السابقة مفهوم المنهج الموضوعاتي " فمصطلح الموضوعاتي (Thématique) في الحقل المعجمي الفرنسي اشتق من كلمة (Thème) وهي التيمة وقد أستعمل هذا المصطلح الموضوعاتي أي التيمي بشكل انطباعي وعفوي من قبل جان بول ويبر Jean poule weber إذ أطلقه على الصورة المنفردة والملحة في تكرارها والمتواجدة بشكل مهيم في عمل أدبي عند كاتب معين، فمن الصعوبة تحديد الدلالة اللغوية للنقد الموضوعاتي بكل دقة، نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية¹.

قامت الموضوعاتية أساسا على مفهوم الموضوع والذي اشتق منه اسم هذا المنهج.

الموضوعاتية مشتقة من موضوع (Thème)، والموضوعي (objective)، وموضوعه (thème) كما تحمل عدة دلالات تنتمي لنفس الحقل وهو الموضوعاتية (موضوع وموضوعيته وجذرية وغرضيه ومنهج موضوعي وتيمة وموضوعاتي والظاهرية والمدارية)².

أما دومينيك مونقانو فقد عرفه قائلا: "الموضوع هو (thème) المرادف لكلمة (Lopique) ويتحدد في كل شكل من أشكاله بأنه بنية دلالية كبرى، ويتحدد في نطاق النقد الموضوعاتي على شكل شبكة من الدلالات أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما في عمل ما"³.

الموضوعاتية طريقة متميزة في النقد، فالموضوعاتية لها حقول فنية وثقافية متعددة منها الموسيقى والفنون التشكيلية.

3_2- عند العرب:

اشتق مصطلح الموضوعاتية من مصطلح الموضوع، والذي ورد تعريفه في لسان العرب كما تطرقت سابقا تحت مادة وضع، والمنهج الموضوعاتي منهج مبهم وغامض لا يمكن فهمه، إلا بالعودة إلى

1- جميل حدادوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة، د ب، ط1، 2015، ص 4.

2- ينظر: يوسف وغيلسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، مرجع سابق، ص 173.

3- يوسف وغيلسي: مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص [1559]

جذوره الأصلية وبالتحديد دلالاته اللغوية، وهذا ما ورد في كتاب "النقد الموضوعاتي" لسعيد علوش "أنه ليس هناك ما هو أكثر إبهاما من الموضوعاتي، حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة، في استقصاء لدلالاتها وقرابتها الضمنية والخفية واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال"¹.

كما يعرفه أيضا "بأنه بحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي، ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة التي تجعلنا نلمس تحولاتها وندرك روابطها في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة"²، يركز في هذا التعريف على تتبع النقاط التي يتكون منها العمل الأدبي ومقاربة التحولات الطارئة عليه، كما يركز على الصلة التي تربط موضوعاتها بالحقل الأدبي.

ونجد أيضا الموضوعاتية " لها علاقة بالموضوع المكون للخطاب الخاص بالتعبير الفني والثقافي"³ فالموضوعاتية تربطها علاقات مختلفة بعدة حقول، منها الحقل الثقافي، الفني،...إخ، إذ يصعب تقديم مفهوم دقيق للموضوعاتية نظرا لتعدد تعريفاتها حسب كل ناقد، فيرى محمد بلوحي " بأنه مبدأ تنظيمي محسوس أو ديناميكية داخلية أو شيء ثابت يسمح للعالم من حوله بتشكيل والامتداد فالموضوع وحدة من وحدات المعنى وحدة حسية أو علائقية أو زمنية، مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما"⁴.

ومنه نرى تعدد واختلاف التسميات التي أطلقت على المنهج الموضوعاتي باختلاف المترجمين ووجهه نظرهم ومذاهبهم، فكما قال يوسف وغيلسي لا... يمكن التعليق على ما يشوب الترجمة إلى اللغة العربية عامة، ونقل المصطلحات خاصة إلا بالقول أنها تعيش فوضى عارمة وقد نال هذا المصطلح اهتماما واسعا لدى النقاد في بعض المصطلحات الأكثر شهرة هي: تيمية، تيمانية تيمية، الموضوعاتي، التيمي، الجذر المعادل الموضوعاتي، الموضوعي، وقد تباينت مصطلح الموضوعاتية

1- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، الرباط، المغرب، ط1، 1989، ص 7.

2- المرجع نفسه، ص 7.

3- مسعودة لعريط: النقد الموضوعاتي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 202، ص 14.

4- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، مرجع سابق، ص 172.

لكثرة استعمالها، الموضوعاتية هي علم الموضوع وهي الآليات المنهجية المسخرة لدراسة الموضوع في النص الأدبي.¹

إن فالموضوعاتية هي دراسة التردد المستمر لفكرة ما أو صورة ما، تتخذ مبدأ محسوس أو ديناميكية داخلية يسمح للعالم المصغر بتشكيل أو الامتداد في النص.

رابعاً: إرهاصات المنهج الموضوعاتي.

1_4 عند الغرب:

لقيت الموضوعاتية اهتماماً واسعاً لدى الكثير من الدارسين والباحثين الغربيين في الكثير من البلدان الغربية، ومن بينها فرنسا وأمريكا الشمالية وألمانيا، والتي يمثلها جوزيف هيلس ميلر Joseph Hells Miller، وفرديماك أيوين Freddy mac Ewen وبول بروتكوزب Paul Protcorp، حيث انبثقت الجذور الأولى لهذا المنهج من الصراع النقدي التي عرفته الجامعة الفرنسية، بين النقد الجديد الذي يترأسه رولان بارت Roland Bart، والاتجاه النقدي اللانصوصي الأكاديمي الذي يترأسه ريمون بيكار Raymond Picard، حيث يعتمد هذا الأخير على التحليل البيوغرافي للنص الإبداعي والقراءة الوضعية والبحث عن فلسفة المبدع ورؤيته الوجودية، أما النقد الجديد فقد ارتكز أصحابه على الصفات الإيجابية الموجودة في الخطاب الوصفي المعاصر، والإشادة بمرتكزاته النظرية والتطبيقية، مما ولد جدالاً وصراعاً نقدياً وأدبياً بين هذين التيارين، ونتيجة لهذا الصراع أصبح في فرنسا تيار نقدي جديد عرف بالنقد الجديد أو كما يعرف بنقد مختلف الإيديولوجيات، وذلك انطلاقاً من الماركسية والوجودية والظاهراتية، ويضم مناهج متعددة تجمعها الإيديولوجية والتأويل، وهذا ما دفع برولان بارت Roland Bart إلى جمعها في سياق واحد سماه بالنقد التأويلي والذي يركز بدوره على التوضيح والتبسيط، إذ يقول رولان بارت Roland Bart في هذا الصدد:

1- ينظر: يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 153.

"في فرنسا حاليا نمطان من النقد نقد نسيميه جامعيا من أجل التبسيط وهو يطبق، ونقد تأويلي يختلف ممثلوه اختلافا شديدا عن بعضهم البعض".¹

ظهر المنهج الموضوعاتي على امتداد القرن العشرين من أصول فلسفية مختلفة، وقد قام هذا المنهج على ماثبات وقد حصر معظم الدارسين هذه الماثبات في أصول ثلاثة هي: "أولها الأصول الفلسفية والنفسية، ثانيها: الأصول الفلسفية الظاهرية، ثالثها: الأصول الفلسفية الوجودية، تداخلت هذه المرجعيات الثلاث لتشكل المنطلق الأساسي للفهم الموضوعاتي، وهو ما جعل هنري فايول Henri Fayol يلاحظ "أغلب نقاد النقد الجديد هم من الفلاسفة وأنهم أساتذة أدب وليس علماء نفسيين"². تستند الموضوعاتية إلى خلفية فلسفية إيستولوجية، تتمثل في جهود الظاهرتين الوجوديين أمثال جان بول سارتر Jean Paul sartre، ثم انتقلت إلى الأدب مع مجموعة من النقاد على شكل أنقاض الرومانسية في القارتين الأمريكية والأوروبية.

إذ كان الوجوديين يرون أن الشعر مجرد تعبير عن شخصية الشاعر والخيال أساس الكيان الشعري، فبدلو مجهودات عظيمة لتوضيح مهمة الخيال وخلقوا مفهوما جديدا للشعر، ولكن الرومانسية منحت اهتماما كبير للذات وجعلتها الخالقة المبدعة وحدها مما دفع إلى إرساء أسس جديدة في الموضوعاتية، وظهور مدارس برزت عندهم قضية الثورة على الرومانسية، أهمها المدرسة البرناسية ومدرسة شعراء الصور، وبعد ماثيو أرنولد Arnald Mathew من بين النقاد الأوائل الذين هاجموا الاتجاه الرومانسي في مقاله الشعراء الرومانسيين، ورفض كل ما هو شخصي ودعا إلى الموضوعية وعارض فكرة أن يكون الشعر مجرد هروب من الواقع، فالشعر من وجهه رأيه يكون نقدا للحياة وعظمة الشاعر تكمن في تطبيقه الأفكار على الحياة.

أما المدرسة البرناسية أو كما أطلق عليها الرواد اسم مدرسة "الفن للفن"، عادت إلى العقل في توجيه مهمة الشعر للتعبير عن أصالته وموضوعيته، أي الرجوع إلى النظام الكلاسيكي مع التوسيع في

1- جميل حدادوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com.

2- مسعودة لعريط: مفهوم المنهج الموضوعاتي في المقاربات الغربية الحديثة، مجلة التبيين، ع 36، الجزائر، 01 يناير 2011،

مهمته، فلم تعد تقتصر على علم النفس الداخلي بل تجاوزته إلى العالم الخارجي ورأى أصحاب هذا المذهب الجديد أن " الفن هو الوجه الآخر للعلم في تقصي الحقائق الثابتة"¹. هذا المذهب قام على معارضة الرومانسية فهي تعتبر الشعر غاية في ذاته، لا وسيلة للتعبير عن الذات وعرض أحزان الفرد وأفراحه كما هو الحال عند الرومانسيين، بعدها تأتي المدرسة التصويرية " imagism" الذين أجمعوا على ملكة الخلق وبرهنوا عن نظرياتهم البعيدة عن شخصية الشاعر وعن أحوال المجتمع، وإنما هذا الخلق يكمن في أن "وظيفة الفنان أن يحمل هذه العناصر كلها إلى شيء جديد، وهو العمل الفني المستقل بوجوده عن كل ما أسهم في صنعه"². ومن هنا يتضح استبعادها الذاتية في الدراسات الشعرية والأدبية. وفي الختام يمكنني القول أن هذه الجذور الفكرية ساهمت في نشأة المنهج الموضوعاتي عند الغربيين.

4_2- عند العرب:

ظهر المنهج الموضوعاتي في النقد العربي في ثمانينات القرن العشرين، ظهورا أكاديميا من خلال الرسائل الجامعية، رسالة "ليكييتي سالم" أخت الروائي السوري "جورج سالم" بعنوان: "موضوعة القلق عند كيدي هوباسان" التي ناقشها تحت إشراف ريشارد Richard عام 1982 أما الرسالة الثانية لعبد الكريم حسن بعنوان "الموضوعاتية البنيوية دراسة في شعر السياب" التي نوقشت عام 1983. مع العلم أن الرسالة الأولى لكييتي سالم باللغة الفرنسية ولم تترجم باللغة العربية، "غير أن رسالة عبد الكريم حسن ظلت باللغة العربية إذ اتخذت طابعا موضوعاتيا ضخما"³. ومن بين أهم نقاد الموضوعاتية في الوطن العربي، أذكر كل من "سعيد علوش" في كتابه "النقد الموضوعاتي"، وحميد حمداني في كتابه "السحر الموضوع"، وسعيد يقطين في كتابه "القراءة والتجربة"، فكل ناقد درس المنهج الموضوعاتي حسب مفهومه وطريقته الخاصة به.

1- أنطونيو بطروس: الأدب، تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب العرب، طرابلس، لبنان، د ط، 2005، ص 376،36

2- محمد عزام: المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999، ص 16،15.

3- دنيل بروجيز: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 37

ويعد عبد الكريم حسن من أهم النقاد الذين أخلصوا لهذا المنهج، رغم تعرضه للعديد من الانتقادات في مختلف دراساته، أهمها "الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب"، وكتابه الذي كان تحت عنوان "المنهج الموضوعي"، إذ كان يقابله باللغة الفرنسية اسم "Thématique" ¹ ومن الرسائل الجامعية أيضا التي سارت على المنهج الموضوعاتي، رسالة المغربي عبد الفتاح كليطو الموسومة بـ "موضوعاتية القدر في روايات فرانسو مورباك" التي قدمت باللغة الفرنسية في كلية الأدب الرباط عام 1971، يحدد كليطو حدود الإثارة الموضوعاتية له من خلال أفقية استعمال القدر في مقارنة كليطو، "تنتهج سبيلا مبسطا ولكنه فعال في تحديد سياق استعمالات القدر، ضمن فقرات الروايات من جهة وتحديد الأفكار الموضوعاتية الأساسية التي يحيل عليها التداول في الفقرات" ².

ولعل ظهور النقد الموضوعاتي واستقلاليته التي لم ينل منها ازدهار المقاربات اللسانية وسيطرتها قد أستحق وقفة خاصة فإن "عبد الفتاح كليطو لا يستطيع نكران هذا التيار الجديد الذي جسده ريشارد" وساهم فيه السيميائيون والفروديون، ومع هذا فإنه ينفي أن يكون "ريشارد" مدرسة خاصة بالنقد الموضوعاتي ³.

يمكنني القول إن المنهج الموضوعاتي حديث العهد في الخطاب النقدي العربي، بالرغم من مختلف المحاولات ونسب بعض الأعمال إلى هذا المنهج، أمثال حميد الحمداني الذي ينسب كتابه "علي الراعي دراسات في الرواية المصرية" لهذا المجال، وأبعد من ذلك إقرار "خلدون الشمعة" في "النقد والحرية"، بأنه قد "سيطر منذ بداية القرن الاتجاه التيمي (Thématique) على النقد العربي الحديث، على نحو بلغ فيه التأكيد على موضوع أو مضمون العمل الأدبي حدا جعله يبدوا وكأنه العمل الأدبي نفسه" ⁴.

1- محمد عزام: وجوه ألماس، البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، مرجع سابق، ص 28.

2- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص 49-50.

3- المرجع نفسه، ص 48.

4- يوسف وغيلسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري (كلام المنهج)، فعل الكلام، دار ركانة للكتاب، الجزائر، دط، دت،

وقد سمي "خلدون الشمعة" هذا الاتجاه بمدرسة "نثر الأبيات"، أين تحول القصيدة إلى نص نثري يكون بديلا لها، وهذا من شأنه أن يعرقل عملية التذوق المباشر للقصيدة، أما خارج الإطار الأكاديمي وجدت دراسات متفرقة منها دراسة مغربية للدكتور "حسن جلاب" سماها "هاجس الذنب في شعر أبي قاسم السهيلي- دراسة موضوعاتية بنائية-، درس فيها نصوص من أشعار القرن السادس هجري، بينما يمكن أن يكون كتاب "الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري" للدكتور محمد مرتاض أول ممارسة جزائرية من هذا النوع"، يختزلها الناقد إلى أربع موضوعات ثم يعرض لخصائصها الفنية بعد ذلك عرضا منثورا عن الموضوع¹.

كما نجد حميد الحمداني في كتابه "سحر الموضوع"، وعلي الشلق في كتابه، "القبلة في شعر العربي القديم والحديث"، تعد هذه الرسائل فاتحة للنقد الموضوعاتي في الوطن العربي رغم أنه لم يأخذ حقه الكامل في الدراسات العربية.

خامسا :أهم رواد المنهج الموضوعاتي

5_1- عند الغرب:

لابد من استعراض جهود كبار رواد المنهج الموضوعاتي عند الغرب الذين كان لهم الفضل الكبير في ظهوره، ومن أهم رواد هذا التوجه أذكر:

1-1-5- غاستون باشلار (1883 1962):

يعد باشلار من الأوائل الذين أسسوا لهذا المنهج إذ يعتبر في مقدمة رواد النقد الموضوعاتي، فهو فيلسوف فرنسي ولد عام 1984، أطلقت عليه تسمية الفيلسوف الأكثر شاعرية، عين بثانوية في بلده الأصلية أستاذا للفيزياء والكيمياء ثم دكتور في الآداب، وأصبح أستاذا في الفلسفة بجامعة ديجون ثم انتقل سنة 1940 مدرسا إلى السوريين، وفي سنة 1955 تقاعد وانتخب عضوا بأكاديمية

1- المرجع نفسه، ص 12،13.

العلوم الأخلاقية والسياسية، وفي عام 1961 تحصل على الجائزة الوطنية الكبرى للآداب، توفي في 16 أكتوبر 1962 عن عمر يناهز 78 عام¹.

وهو فيلسوف الخيال الذي أتخذ من المتخيل الشعري موضوعه، المفضل من أهم مؤلفاته:

- التحليل النفسي للنار 1937 (La psychanalyse de feu).

- الماء والأحلام 1940 (L'eau et les rêves).

- شعرية حلم اليقظة 1960 (La poétique de la rêverie).

- لهب الشمعة 1961 (La flamme d'une chandelle).

ولعل انشغالات باشلار المعرفية الكثيرة وتعدد اهتماماته الفلسفة الظاهرانية والتحليل النفسي فضلا على الهواجس الشعرية، هو ما جعل "ج، ناديه" يقول "لم يكن لباشلار منهج واحدا ولكن كانت له عدة مناهج"².

يعد باشلار الأب الروحي للنقد الموضوعاتي دخل وتغلغل في ثغراته الفلسفية والشاعرية وقدم العديد من الأفكار الإستمولوجية، ليمر بمرحلتين في حياته العملية تبنى في المرحلة الأولى دراسة إشكاليات معرفة علمية، أما بالنسبة للمرحلة الثانية فتحول فيها من دراسة فلسفة العلم إلى دراسة فلسفة الفن والجمال.

اهتم بعناصر الكون الأربعة (الماء، الهواء، التراب، النار)، لدراسة الصورة الشعرية متخذا منها موقفا موضوعيا، باحثا عن مظاهر الوعي واللاوعي وتسرياته السيكلوجية في الصورة الشعرية.

5-5-2- جورج بولي (George Polly)

ناقد بلجيكي وزعيم مدرسة جنيف للنقد الفينومولوجي، ويعد أحد أقطاب المنهج الموضوعاتي، من أبرز أعماله: (دراسات في الزمان الإنساني) 1950، (البعد الداخلي) 1952، (تحولات الدائر 1961.

1- ينظر: سعيد بوخليط، غاستون باشلار، نحو نظرية في الأدب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 31،32.

2- يوسف وغيلسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، المرجع السابق، ص 46،47.

تأثر بولي بنظرية باشلار وقام بوضع أسس موضوعاتية تشبه أسس باشلار، حيث ركز في رؤيته النقدية على "جوهر محتوى الوعي والدلالات الضمنية، من خلال انتظام الخيال المبدع في مقولتي الزمان والمكان أو الفضاء، وليس المطلوب من النقد تأمل الفكر فقط، بل عليه الارتقاء من صورة إلى أخرى نحو بلوغ الحساسيات كما عليه أن يصل إلى الفعال"¹، ليرتقي من الخيال إلى الأفعال أي الفعل الذي يساهم في تجانس العقل والروح مع الجسد، اهتم بالمواقف الأولية للكاتب الدافعة إلى إنتاجه الإبداعية ويشترط على الناقد، أن "يندمج ولو بصورة جزئية وبالعامل المدروس الذي تعتبر معرفته وفهمه والاندماج فيه، الغاية الحقيقية للنقد مؤكداً بذلك على الذاتية التي ينبغي أن تسيطر"².

إن موضوعاتية جورج بولي تركز على مقارنة مفهومي عنصري الزمان والفضاء، ففي "كتابات المتعددة يحلل مختلف مظاهر الوعي الأدبي الديمومة (la Durée) أو اللحظة (L'instant) ويتعلق الأمر بالنسبة إليه بوصف مختلف مغامرات الوعي، بالبحث عن كيفية إدراكه داخل المقولات المكانية الأولية، ثم الالتصاق باطنيا بالتجربة الواحدة التي تدل على العمل"³. اهتم بولي بمجموعة من المفاهيم الذاتية والوعي و المشروع والتيار الروحي من خلال مقولات الزمان والمكان، حيث سعى إلى مقارنة الأدب انطلاقاً من صلة الكائن بالعالم وتجربته الوجودية كما توخي الدخول إلى أعماق الزمان والمكان لأنها تكشف عن الكائن: "اذ كان هناك زمان فيزيائي كرونولوجي فإنه يوجد زمان إنساني تتضمنه متواليات العمل، وتستوعبه بالثبات"⁴.

5-3-5- جان ستاروبنسكي (Jan Starobinski):

1- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص 40.

2- محمد عزام: النقد الموضوعاتي، 22 مارس 2021م، س 14:00، www.startimes.com.

3- سعيد بوخليط: غاستون باشلار نحو نظرية في الأدب، مرجع سابق، ص 35.

4- سعيد بوخليط: غاستون باشلار نحو نظرية في الأدب، مرجع سابق، ص 35.

يعد أحد رواد النقد الموضوعاتي الذي جاء بالكثير من الأعمال منها: الشفافية والعائق 1958 العين 1961، السخرية 1966.

ولقد لجأ في قراءته الموضوعاتية إلى "التحليل السيكولوجي والموضوعاتي لمقاربة النظرة، في أعمال جان جاك روسو، وكورنابي وراسين وستاندال، ما دامت النظرة تعبر عن كثافة الرغبة، ومن ثم فهو ناقد الأعماق، يبحث عن واقع خفي قصد معرفة جيدة لأنه هو الذي يعلن الظاهرة"¹.

وقد وضع ستاروبنسكي عمله النقدي في صنفين:

أقل لأنه يريد القيام بجد لكل موضوعاتي له علاقة بالنظرة، وأكثر لأن الانتباه إلى المتطلبات التي تسكن النظرة والتي لا يكفيها الظهور الأول يدفعه إلى مغامرة، تتم ما بين فاصل العين الناظرة والشيء المنظور في إدراك لما تكونه النظرة، في ربط حي بين الشخص والعالم وبين الأنا والآخر"². كما يمدد مجال اهتمامه إلى النظرية النقدية، "يتساءل فيها إذا كانت سيكولوجية القارئ وخاصة الناقد تتعارض مع سيكولوجية المبدع، محللا نمطين من النقد:

1- نقد التباعد: الذي ينزاح تماما عن العمل ليحلل المحيط الذي يرتبط معه العمل عضويا.

2- نقد الكشف: الذي يبحث فيه الناقد عن حميمة واندماج بالذات المبدعة، ويلاحظ أن الحقيقة لا توجد في نقد الكشف ولا في نقد التباعد، بل توجد في الحركة التي تفصل وتتحرك بينهما، إذ لا يجب رفض دوران البعد ولا دوران القرب بل علينا أن نرغب في ثنائيهما، إذ تكون النظرة قريبة من افتقادها لكل سلطة"³.

وقد شكل ستاروبنسكي مفهومه للموضوعاتية من خلال تركيزه في حقل النظر الذي جعله الأكثر انفتاحا على التحليل النفسي.

2_5 عند العرب:

1- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، د ب، د ط، د س، ص 382.

2- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص 25.

3- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص 25. { 24 }

أما عند العرب فقد برزت نخبة من النقاد الذين عملوا على تطوير هذا المنهج رغم قلة دراسته ومن بين أهم هؤلاء النقاد أذكر باختصار:

1-2-5- سعيد علوش :

يعتبر سعيد علوش من أهم رواد الموضوعاتية عند العرب المحدثين، وخاصة الجانب النقدي منه من خلال كتابه "النقد الموضوعاتي" الذي كان من بين أكثر الكتب المتداولة عند العرب، وقد تطرق فيه إلى العديد من الحقول والحدود التي لها علاقة مباشرة بالنقد الموضوعاتي وتوصل إلى "ليس هناك ما هو أكثر إبهاما من الموضوعاتي حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة في استقصاء لدلالاتها وقرباتها الضمنية والخفية واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال"¹.

2-2-5- محمد عزام:

يعتبر محمد عزام من أشهر النقاد الموضوعاتيين، حيث ألف كتابا سماه "بالمنهج الموضوعي في النقد العربي" تناول فيه كل ما يتعلق بهذا المنهج، وقسمه إلى عنوانين هما المنهج الموضوعي في النقد الغربي والمنهج الموضوعي في النقد العربي المعاصر، وأتبعهما بملحق وأما العناوين الفرعية فقد تمثلت في بابين:

النقد الموضوعي الذي أصبح نقدا لفظيا في إنجلترا ونقدا جديدا في أمريكا، والواقع أن هذه الاتجاهات الموضوعية في النقد قد توازنت وتداخلت وتأثرت ببعضها البعض وأثرت².

3-2-5- جميل حمداوي:

يعتبر جميل حمداوي من النقاد العرب الذين اهتموا بالموضوعاتية، فقد جعل مهام النقد الموضوعاتي في "استقراء التيمات الأساسية والواعية واللاواعية للنصوص الإبداعية المميزة وتحديد محاورها الدلالية المتكررة والمتواترة، واستخلاص بنياتها العنوانية المدارية تفكيكا وتشريحا وتحليلا عبر عمليات التجميع المعجمي والإحصاء الدلالي لكل القيم والسمات المعنوية المهيمنة"³.

1- أحمد عثمان رحمانى: نظريات نقدية وتطبيقاتها، مج1، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط1، 2004م، ص 100/99.

2- سعيد علوش: مرجع نفسه، ص 8.

3- جميل حمداوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال (25) في 22-9-2009م، www.dovoob.com

تعددت مرجعيات رواد المنهج الموضوعاتي وأصولهم الفلسفية وخلفياتهم الفكرية التي بنو عليها دراساتهم الموضوعاتية.

سادسا: الموضوعاتية وأهم تأثيراتها الفكرية والفلسفية

تأثر المنهج الموضوعاتي بجملة من الخلفيات الفكرية والفلسفية على رأسها:

6_1 الفلسفة الظاهراتية:.

تعد فلسفة أيدموند هورسل (Edmund Husserl) الظاهراتي منطلق أساسي للمنهج الموضوعاتي، بتركيزها على العلاقة الدينامكية بين الفكر الإنساني والأشياء، "فالأنا المفكرة لا تكون إلا عندما تدخل دخولا فعليا في علاقات وارتباطات بالأشياء، كما تتحدث الظاهراتية عن التوازن في العمل الفني وهو "تضافر عناصر العمل الفني بنسب متساوية حول ما يسمى بمركز القوة داخل العمل"¹. علاقة المنهج الموضوعاتي بالفلسفة الظاهراتية علاقة قوية أطلق عليها اسم "النقد الظاهراتي"، من خلال ارتباطه الوثيق بفلسفته، أستخلص من هنا أن النقد الموضوعاتي جزء لا يتجزأ من فلسفته الظاهراتية، ودليل ذلك عند يوسف وغيلسي "لا عجب أن يرد المنهج موسوما باسم فلسفته في بعض التتظيرات النقدية، حيث نعثر على مثل هذا التزاوج عند صاحبي دليل النقد الأدبي اللذان يصطلحان عليه باسم النقد الظاهراتي الفينومولوجي"².

وهكذا تكون الظاهراتية الأرضية الفلسفية والمعرفية الصلبة، فالمنهج الموضوعاتي استعان بالظاهراتية لما قدمته من أفكار ومفاهيم أهمها، الوعي والقصدية والتفاعل وقد عرف الموضوعاتيون كيف يطوعون هذه المفاهيم، من خلال جعلها سمة بارزة وشرطا ثابتا لا بد من العمل به أثناء استنتاج النص باستعمال المقاربة الموضوعاتية.

6_2 الفلسفة الوجودية:

1- حفصة بوطالبي: عالم أبو العيد دودو القصصي، دراسة موضوعاتية رسالة ما جيسنير، جامعة الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2004، 2003، ص 31.

2- يوسف وغيلسي: النقد الجزائري المعاصر، مرجع سابق، (ص 176).

يعتبر مبحث الوجود من أهم مباحث الفلسفة وخاصة الوجود، بمعناها الخاص هي "أهم ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات التي تعيش ولا توجد"¹، وكأن الوجود هنا مرتبط بالتفكير لأن ما يجعل الإنسان مختلفا عن سائر الكائنات والمخلوقات- خاصة الحيوانات- هو العقل الذي يفكر به في كل ما يحيط بنا.

العلاقة التي تربط النقد الموضوعاتي بالفلسفة الوجودية علاقة مترابطة وقوية لا يمكن فهمها فالحوض في المنهج الموضوعاتي من طرف الرواد الذين أسسوا نمطهم الوجودي بصفه خاصة اعتبروا من خلال بعض الباحثين أنهم نقاد موضوعاتيين نجد ذلك واضحا عند ريشارد Richard الذي تأثر بالفيلسوف جان بول سارتر، حيث يؤكد هذا الأخير "الوعي هو الكائن الذي هو ما ليس هو، وليس هو ما هو"²، فالوعي منا لا يعبر عن ذاته وأصله، بل يعبر عن ما هو خارج الشيء.

قام جان بول سارتر بتطوير الظاهراتية حين أضاف لها بعدا وجوديا ميتافيزيقيا، أي البعد الخارجي للوعي "فالوعي إنما يحدث في أبعاد زمانية ومكانية على العموم"³، أي توسع الوعي ليشمل الوعي والشعور بالوجود.

ومن هنا اعتبر بعض الدرسين جان بول سارتر من النقاد الموضوعاتيين.

حيث يرى سارتر أن الهدف الأسمى بالوجودية هو تحقيق فعل الإثارة لدى القراء من خلال العمل الأدبي، "مع ضرورة أن يمارس الكاتب حريته الخاصة لكي يكون له دور في ممارسة القراء لحياتهم"⁴.

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لعنوا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ج1، 1999، ص 320.

2- عائشة حمادي وإيمان زوقاح: رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح، دراسة موضوعاتية، من منظور جان بيبير ريشارد، مذكرة ما ستر، دراسات أدبية، إشراف محمد بوتالي، البويرة، الجزائر، 2016، 2017، ص 12.

3- حفصة بوطالبي: عالم أبو العيد دودو القصصي، مرجع سابق، ص 32.

4- حميد الحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مرجع سابق، ص 57.

وهذا ما استثمرته الموضوعاتية بشكل جيد ودعمته بمقولة الوعي والقصدية، سواء لدى الكاتب أو لدى الناقد، لأن الموضوع هو اختيار محض من طرف المبدع، وهو كذلك اختيار واعي ومقصود من طرف الناقد.

3_6 - الميراث الرومانسي:

النقد الموضوعاتي هو إيدولوجيا ابن الرومانسية، فظهر التيار الرومانسي الألماني في بداية القرن التاسع عشر ميلادي بشكل خاص، نظرية امتد أثرها بعد قرن من الزمن بفضل النقد الموضوعاتي " فالعمل الفني وفق جماعة يبني مرجعيا على وعي المبدع إلى باطنية شخصية تطور كل العناصر الشكلية والمحدثة للعمل الفني كالإلهام والكيفية والتركيب"¹.

أتت الرومانسية كحركة تجديد وإصلاح وكان لها بالغ الأثر ليس على الأدب والنقد فحسب، وإنما على مستوى المجتمع بكل حيثياته خاصة الفنية والفكرية، التي أزاحت عنها عتمة المرحلة الكلاسيكية وعودتها على أحادية النظرة ومركزيتها وأحادية النموذج.

وليس من الغريب أن تكون "فرنسا" مهدا وحاضنا للرومانسية نظرا لعدم وجود بلاط ملكي من شأنه أن يفرض نمط حياة معين، إضافة إلى سيادة الفكر الإقطاعي وسيطرته على الجانب الإقتصادي وانتشار الحروب والأوبئة والأمراض التي أثقلت جسد الإنسان، هذا التثنت أدى إلى إعادة التفكير في الأرقى والأفضل والحلم بعالم متعدد الأصوات والألوان عالم طبيعي، إذ أن "في الطبيعة والأحلام جانب أسمى من العالم المادي (...). فالأحلام هي اللغة الفطرية للطبيعة"².

وقف النقد الموضوعاتي بين ما هو داخلي (المشاعر) وما هو خارجي (الطبيعة)، أي بين هو خيال وبين ما هو حقيقة، وغنم الكثير من "مسألة التجاوب الذاتي مع الأعمال الأدبية، فكما كان للمبدع نفق يميزه كذلك للناقد الذوق ذاتي يستقرا إلى الأعمال الأدبية"³ من خلالها.

1- دانييل برجيز: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 97.

2- محمد غنيمي الهلال: الرومانتيكية نهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص 58.

3- حميد الحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، أنفو برانت، 28، المغرب، ط3، 2014، ص 33.

وهكذا تكون الموضوعاتية قد غنمت من الرومانسية اتساع الرؤية ولا نهاية المواضيع، إضافة إلى العديد من المصطلحات الإجرائية كالإبداع والجمال والحقيقة والحلم.

6_4- التحليل النفسي:

إن الفهم الموضوعاتي للظواهر، أفيد بصورة عامة من التحليل النفسي، وبرز ذلك عند غاستون باشلار Gaston Bachelar ، فيعتبر أول من استعمل التحليل النفسي في تفسيره للظواهر ورغم هذا يعترف باشلار بأنه " ليس محللا نفسيا غير أنه يستخدم أدوات التحليل النفسي ومقولاته ومفاهيمه على امتداد أعماله، وإذا كان التحليل النفسي الفرويدي يتجه إلى منطقة اللاوعي للبحث عن الصور والرموز التي يحللها، يتجه الاتجاه والتحليل الباشلاري إلى أعرق منطقة من مناطق الوعي، وهي المنطقة الأصلية، منطقة الاحتكاك البدئي بالعالم"¹.

ونجد هذا التوجه النفسي للنقد الموضوعاتي أيضا عند جورج بولي George polly عندما تجلى النقد الموضوعاتي عنده على أنه "قبض واع أو فهم لوعي الآخرين"²، أي أنه طريقة لكشف وفهم الآخرين، وبهذا يحدد وظيفة النقد في إبراز بعض المخاوف الشخصية باعتبارها منطلقا لألف صورة و فكرة تشع من مركز تفكير فرويدي، وبالرغم من أن هذا النقد الموضوعاتي استعان إلى حد كبير بالظاهر والوعي إلا أنه لم يحشر نفسه في زاوية واحدة، وإنما سعى إلى الامتداد عبر مسام النص بإعتباره أثرا مفتحا من الداخل والخارج، ولهذا استثمر الموضوعاتيون مقولات علم النفس أهمها اللذة والألم و اللاوعي، وكانت لهذه الخطوة أهمية كبيرة تمثلت في كسر رتابة التحليل النفسي، الغارق في الأعماق من خلال إحداث تقابل بين العالم الواقعي و العالم الخيالي اللاشعور والقصد، الوعي واللاوعي.

سابعا - علاقة الموضوعاتية بالمناهج الأخرى:

1- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للطبعات والنشر، ج1، ط1، 1990م، بيروت، 1990م، ص 25.

2- حفصة بوطالبي: عالم أبو العيد دود القصصي، مرجع سابق 29 من 32.

المنهج الموضوعاتي في مراحل تطوره اقترن بمجموعة من المناهج الشكلية والمضمونية، سواء كانت معيارية داخلية أو خارجية أو وصفية مما حكم عليها بالشتات والتوزع بين هذه الفلسفات والمناهج، ذلك أن الموضوعاتية " ميدان نقدي هلامي تتداخل فيه مختلف الرؤى الفلسفية والمناهج النقدية"¹.
الموضوعاتية والتحليل النفسي: عمل النقد الموضوعاتي من أجل الكشف عن معنى الرغبة الدفينة، في اختيار المبدع للموضوع دون آخر، ليجعل منه مادة لإبداعه، هذا النقد يوظف نظريات علم النفس في التحليل فالنظرية الفرويدية أولاً "أفادت الجذريين بمصطلحات العقدة النفسية واللاشعور والعقل الباطني، ثم جاء الناقد "شارل مورون" بالتحليل النفسي بكتاب من " الاستعارات الملحة إلى الأسطورة الشخصية"، نهج فيه نهجا فرويديا لينشر في النقد الموضوعاتي جملة مسلمات منها اللاشعور، أثار بعض الوقائع الراسخة في الذاكرة"².

كما أن النقد النفسي والنقد الموضوعاتي يحملان نفس الهدف في إعتقاد القراءة الشاملة وتجاوز المعنى الظاهري للنصوص، غير أن التحليل الموضوعاتي يهتم بكلية النفس.
وقد يلجأ الناقد للحفر في طفولة الشاعر كسقوط الشاعر "فاليري بول" في صغره وهنا يكون التحليل الموضوعاتي قد استفاد من التحليل النفسي خاصة في مقولته المتمثلة في موضوع، الهوام واللاوعي، ذكريات الطفولة.

العلاقة بين الموضوعاتية والتحليل النفسي أن كلاهما يهتمان بدراسة الصورة حيث تعتبر الصورة عند النفسيين قناعاً خفياً وصادراً للمكبوتات بينما عند الموضوعاتيين فيتم التقاطها عند ولادتها والتعايش معها في صيرورتها.

2_7- الموضوعاتية والأسلوبية:

استفادت الموضوعاتية من الأسلوبية الألسينية خاصة من الباحث "شارل بالي" خصوصاً في الأسلوب وتقنياته، "فاهتمت بجماليات النص اللغوية إذ أن أطباق الشعور واللاشعور تتبلور لغوياً بواسطة

1- يوسف وغيلسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 152.

2- جميل حمداوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com

تراكيب ومصطلحات لغوية، وتدل الظاهرة اللغوية بطابعها الكيميائي المتناثر أو المتلاصق على واقع نفسي فكري يتوجه بالرمز بين عالمي الوعي واللاوعي"¹.

الأسلوبية تنظمها مجموعة من المفاهيم المسؤولة عن قراءة النص الأدبي، ما يؤيد فكرة أن المناهج الأسلوبية تعتمد على وسائل علمية، تأخذ من المنهج الإحصائي في قراءة النص الأدبي قراءة موضوعاتية.

كما يمكن القول بأن الموضوعاتية قد أخذت من الأسلوبية الإحصائية خاصية الإحصاء في جمع ورصد الموضوعات المكررة في العمل الأدبي بين الموضوعات الفردية والموضوعات الرئيسية حسب تواترها في النص.

ولقد طبق يوسف وغليسي في دراسته: "الرؤية الشعرية والتأويل الموضوعاتي"، المفهوم الإجرائي المشترك بين الأسلوبية والموضوعاتية حيث توصل إلى أن " كلمة إفريقيا مكررة 42 مرة في ثلاثية محمد الفيتوري هي الكلمة "².

لذلك يعتبر مصطلح التكرار والتواتر الأكثر استعمالا في الأسلوبية الإحصائية، والتي تعتبر من الاتجاهات الأسلوبية التي اتخذتها الموضوعاتية في إجراءاتها النقدية.

يلتقط الجذريون بواسطة الأسلوب أو النسق اللغوي المتعدد الهويات والمضامين، موضوعا فكريا ويتتبعون تعابيرهم في سياق النص، وهنا يصبح النسيج الجمالي مفتاحا للعثور على النسيج الفكري المتناثر في رموز على سطح الكتابة.

7_3 - الموضوعاتية والبنوية:

اعتبرت البنوية منبع من منابع النقد الموضوعاتي، ذلك راجع لاعتبار بعد الدارسين الموضوعاتية البنوية اتجاه نقدي مندرج ضمن حقل نقدي واسع على البنوية ذلك أن: "أحد نقاد البنوية التكوينية

1- جميل حمداوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com

2- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 195.

هو لوسيان قولدمان الذي اعتبره رولان بارت من النقاد الموضوعاتيين على أساس إسهاماته المدرجة ضمن دائرة النقد الموضوعاتي"¹.

حتى رولان بارت اعتبر النقد الموضوعاتي على أساس "تصنيف الموضوعاتية في الاتجاه التأويلي"². هناك من جعل الموضوعاتية البنيوية اتجاها نقديا ينطوي تحت البنيوية باعتبارها منهجا وحقلا نقديا يضم اتجاهات أخرى كالبنيوية التكوينية والشعرية، غير أن الموضوعاتية البنيوية تبدأ من الفصل بين المعجمي والأدبي "حيث تعتمد المقاربة الموضوعاتية هي بمقاربة العمل الإبداعي عندما يكون بشكل حر بينما الموضوعاتية لا نستطيع إليها إلا من مدخل إجباري"³.

وعليه فالمقاربة الموضوعاتية حرة لأنها غير محددة، بينما منطلق المقاربة البنيوية الموضوع الرئيسي المحدد بالعائلة اللغوية.

ما يجعل العلاقات عند الموضوعاتية البنيوية ثابتة ومستقرة ونهائية، على عكس الموضوعاتية التي تتسم بالتعثر "فالموضوعاتية البنيوية تقع في الانتقائية في المواضيع، فبدل أن تعرض الموضوعات نفسها على الناقد نجده يفرضها هو وهذا يؤدي إلى اختلاف بنية العمل الإبداعي المدروس بدلا من اكتشافها"⁴.

7_ 4- الموضوعاتية بين القراءة والتأويل:

القراءة والتأويل ليس بمنهجين وعلى الرغم من أن رولان بارت "يصنف الموضوعاتية في الاتجاه التأويلي إلا أن التأويل يبقى اختيارا يستجيب للرؤية الإيديولوجية التي يتبناها ناقد ما، والمقصود بهذا التأويل في هذا السياق التأويل الذي تتحكم في الأهواء، ولكن "الموضوعاتية في المشهد الفلسفي

1- أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، ط1، 2007، ص 327.

2- المرجع نفسه، ص 382.

3- محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، الأسس والمفاهيم، موقع ثقافي أسسه عبد الرحمان كاظم، ينظر يوم 2003/07/12م،

4- محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق.

المتباين والثقافي المتعدد، نجدها تختار التأويل الذي تحتكم إلى الحرية في تحديد التيمات الأساسية والفرعية"¹.

أما عن القراءة فيمكن القول بأن القارئ بصفة عامة والناقد بصفة خاصة هو الذي يخرج النص إلى الوجود، وهذا ما يفتح المجال للقارئ من أن ينتقل إلى المحيط الذي يساهم في تشكيله.

الموضوعاتية لم تسلم من تهمة الذاتية والانطباعية، مما جعلها تسير في اتجاهات مختلفة وإن كان البعض خاصة "أحمد يوسف"، يصف التأويل الموضوعاتي أنه "تأويل تتنازعه الحساسيات المغرقة في الذاتية التي لا ينصاغ لأي إرادة عاقلة"².

ولعل علاقة المنهج الموضوعاتي بمختلف العلوم والفلسفات والمناهج، جعلها تسير في اتجاهات مختلفة ومتنوعة أي أن الموضوعاتية هي موضوعات وليس موضوعاتية واحدة.

ثامنا - الآليات الإجرائية للمنهج الموضوعاتي:

يتأسس النقد الموضوعاتي على جملة من المفاهيم تمكن القارئ من قراءه نص ما قراءة موضوعاتية، ويمكن حصر هذه الآليات في:

1_8 - الموضوع:

يتحدد مفهوم الموضوع كأساس جوهري في بلورة الرؤية الأساسية الموضوعاتية، على أنه "وحدة من وحدات المعنى، هو وحدة حسية علائقية أو زمنية مشهود لها في خصوصيتها عند كاتب ما كما أنه مشهود لها بأنها تسمح انطلاقا منها، وبنوع من التوسع الشبكي أو الخيطي أو المنطقي أو الجدلي يبسط العلم الخاص لهذا الكاتب"³.

1- جميل حدادوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com

2- أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، مرجع سابق، ص 328.

3- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، نظرية وتطبيق، مرجع سابق، ص 38.

مفهوم الموضوع يستقطب مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي تتيح مقارنة نص ما مقارنة موضوعاتية، منها: المعنى لأن الموضوع وحدة من وحدات المعنى الحسية، لأن الموضوع وحدة حسية، العلاقة لأن الموضوع وحدة علائقية يتوسع بطريقة شبكية أو خيطية، كما أنه مفهوم متعلق بالمعنى.

ومن هنا أستنتج أن الموضوع هو ما يمكن أن يستثمر ويتطور، وهو شيء خاص متميز لدى فنان وكاتب في عصر معين.

8-2- المعنى:

إن المشكلة الرئيسية التي يواجهها النقد الموضوعي هي مشكلة (المعنى)، في الشعر أو الفن بعامة، فالنقد الموضوعي يعتبر العمل الفني كائناً مستقلاً بذاته، وهو ينظر إلى القيم والمعاني التي قد تحتوي عليها القصيدة من داخل القصيدة نفسها وليس من خارجها (...)، ولهذا السبب فإن "الفهم الواعي للعمل الفني وتفاصيله وبناءه ومعناه، لا يمكن أن يتم إذ أراد الناقد أن يحمل هذا العمل معاني وقيم، لا يكشف عنها الشكل القائم على صراع أساسي يوصل بوصل (معنى) معين"¹. فكثير ما يبتعد الناقد عن الموضوعية ويحاول فرض إيديولوجيته، بتحليل النصوص معاني تخدم ميوله.

8-3- البنية:

إن القراءة الموضوعاتية "تجعل المقاربة تتساءل عن البنى التي تمثل الحضور الشعري إزاء الأشياء ، فالبحث الموضوعاتي هو بحث عن البنية المميزة للعمل الإبداعي"². ذلك أن تحليل أي عنصر في العمل الأدبي يفضي إلى كل عناصر الأخرى التي ترجع في الأصل وفي النهاية إلى مصدر التفرعات والإشعاعات.

8-4- العلاقة:

1- سمير سرحان: النقد الموضوعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، مصر، 1990م، ص 15.

2- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، نظرية وتطبيق، مرجع سابق، ص 85.

تكمن العلاقة في النقد الموضوعاتي في العلاقة مع العالم ذلك أن "المعارف عنصر مساعد لنقد الموضوعاتي و إن كان بعض النقاد يقلل من قيمتها، فإن ذلك في الواقع عزل النص عن الأجواء التي صنعت ثقافة المبدع، والنص لا بد أنه يتناص مع البيئة"¹.
والوعي عنصر أساسي في النقد الموضوعاتي لذلك يستدعي التأكيد على أهميه الوعي ووجود فكر حول العلاقة مع العالم.

8-5- العمق:

ويقصد به أن المعاني الحقيقية هي المعاني التي لا تقال في المعاني الظاهرة، أو كما عبر عنها ملارميه "بالكلام الحقيقي الذي لا يقال بالكلام"²، فالمعنى موجود لكنه ضمني، ومن هنا ندرك أنه كلما زاد النص الإبداعي غموضا كلما زاد الناقد توغلا في القراءة.

8-6- الحسية:

إن الحسية مفهوم بالغ الأهمية فهي تشكل القاعدة المادية التي يقوم عليها العمل الإبداعي والنقدي، لهذا يركز هذا النقد على "الخطة الأولى الأصلية التي يفترض أنه يولد عندها الأدب العربي بدءا منه، فكل دراسة موضوعاتية عليها استرجاع حيوية ما والاهتداء إلى نقطة البداية"³.

8-7- الخيال:

التناول النقدي لمفهوم الخيال "يقوم مرتكزا بالدرجة الأولى على الخيال العلائقي الذي ينطلق من العالم ويعود إليه"⁴، ومن هنا تبرز نقاط التقاطع وتنتج لنا هاهنا علاقة في الخيال، ثم علاقة الخيال بالحسية، ثم الحسية بالمعنى، ثم المعنى بالموضوع.

8-8- المحالة:

1- مرجع نفسه، ص 87.

2- دانييل برجيز: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، مرجع سابق، ص 135.

3- نفس المرجع، 106.

4- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي نظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 65.

إن النقد الموضوعاتي نقد "محال" فهو ينفي الإحالة إلى أي مصدر خارجي، وحقيقة كل شاعر مسجلة في قصائده أكثر مما هي مسجلة في حديثه عن شعره، "فالنقد الموضوعاتي ستبعث الإحالة إلى الكاتب والظروف الإجتماعية والتاريخية والاقتصادية"¹.

أي أن مفهوم المحالة الذي يشيع في مفاهيم النقد الموضوعاتي، معناه أن النقد ينطلق من النص الإبداعي ويعود إليه ويعيد بناءه، حتى يستقر على النحو الذي يرضيه.

8-9- الدال والمدلول:

علاقة الدال والمدلول يطرحها البعض على مستوى "الصورة والمعنى"، والبعض الآخر على مستوى "الحرف والفكر"، والآخرين على مستوى دلالي، وأصحاب مدرسة القواعد التوليدية والتحويلية يطرحون القضية على مستوى البنية السطحية والبنية العميقة، ويتجلى فهم الدال بين الشكلانيين والموضوعاتيين حيث أن الموضوعاتيين يرون "الدال محدود باتجاه العالم الأدبي الموصوف"²، أي أن الدال هنا يصبح شكلا للمضمون.

8-10- التجانس:

إن وضع العناصر المبادرة في العمل الأدبي موضع العلاقة من بعضها، هو الذي يفضي إلى بلوغ التجانس في هذا العمل" الذي يتجلى في رسم مجموعة العناصر المعروضة لدراسته كنظام منسق ذي خصوصية"³، ويعني هذا الكشف عن ملامح التجانس الغير مرئية في العمل الإبداعي التي يستطلع عليها بمعنى المعاني.

8-11- المشروع والقصدية والوعي:

المشروع "خيطة يوحد أطراف التجربة الإبداعية الممزقة"⁴ فهو من الناحية الإبداعية "أحد الركائز التي يستند إليها مفهوم التجانس في العمل الأدبي، إنه معاصر له بدقة متناهية، إنه يولد ويكتمل في

1- المرجع نفسه، ص 99،100.

2- المرجع نفسه، ص 79.

3- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، نظرية وتطبيق، ص 71.

4- المرجع نفسه: ص 94.

الكتابة في الإحتكار بالتجربة واللغة¹، أي أن النقد يبحث في العمل الأدبي عن المشروع والهدف الذي لا يعرفه وذلك بلم نثار المشروع الإبداعي في وحدة الكلية.

8-12- شكل المضمون:

مصطلح شكل المضمون ابتدعه العالم اللغوي الدينماركي لوي هيلمسلف، وبما أن النقد الموضوعاتي: "ينقصى ما يطلق عليه سطحيا اسم المضمون أو المحتوى، من أجل معرفة الشيء الذي سمح لهذا الشعر بالتفتح والازدهار"²، فلكل شاعر طريقته في عرض موضوعه واختيار شكل خاص لمضمونه.

كلها إذن مفاهيم تتضافر فيما بينهما ليتأسس النقد الموضوعاتي فالموضوع يعتبر البؤرة التي تتفرغ عنها تلك المفاهيم حيث تحمل معنى يتحدث من داخل النص والنقد الموضوعاتي يركز على الخيال والعلاقة.

تاسعا- خصائص المنهج الموضوعاتي وأهم خطواته:

1- خصائص المنهج الموضوعاتي:

تعددت واختلفت خصائص المنهج الموضوعاتي باختلاف زاوية النظر التي يركز عليها كل ناقد ومن أهم الخصائص:

أ- ينطلق "الناقد المتبني للمنهج الموضوعاتي من الواقع ليصل إلى الجوهر مما يبني علاقة وطيدة بالظاهراتين"³.

ب- يهتم الناقد بدراسة "النص من خلال علاقاته الداخلية ولا يهتم بالمجال التاريخي"⁴، أي أنه بحث قائم على الآنية وليس الزمنية.

1- المرجع نفسه.

2- أحمد عثمان رحمانى: نظريات نقدية وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص 95.

3- محمد عزام: المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 12.

4- محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي في الأسس والمفاهيم، مرجع سابق، ص 78.

ج- يعتمد المنهج الموضوعاتي على التكرار باعتباره لازم بالمنهج والموضوع، حيث يرى رولان بارت "أن الموضوع مكرر بمعنى أنه يتكرر في كل العمل، ويعد هذا التكرار تعبيراً عن خيار وجودي"¹، ومن هنا يمكن القول أن التكرار مبدأ من مبادئ المنهج الموضوعاتي ولازم من لوازمه.

د- يرتبط ارتباطاً وطيداً بمفهوم النسبة، أي أنه لا يمكن تحديد كل المواضيع التي يريد الأديب الإشارة إليها في العمل الأدبي، لأن الدارس هو الذي يستنتجها من خلال فهمه لهذا العمل.

هـ- إن الهدف الأسمى للمنهج الموضوعاتي هو " فهم الإنسان لذلك تحايلت جميع المناهج من أجل فهمه"²، وهنا ألتمس ارتباطه بالبنوية والنقد الاجتماعي، من خلال ما يسمى بالفعل البدائي وبذلك فهو يتمتع بارتباطه بالعديد من المناهج.

ويقوم الناقد الموضوعاتي بالبحث عن البنية العميقة لخيال المبدع وكيفية تجسيده إضافة لوعيه أي أن هدف الباحثين هو الوصول إلى الفكرة الكاملة في نفس المبدع وتشكيل وطبيعة هذا الوعي عن طريق اللغة.

9_2- الخطوات الإجرائية للمنهج الموضوعاتي:

يشترط على الناقد في تطبيقه للمنهج الموضوعاتي أن يعتمد على مجموعة من الخطوات التنظيمية والمتمثلة في³:

- قراءة النص قراءة شاعرية منفتحة وعميقة.
- الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى.
- التآرجح بين القراءة الموضوعاتية والقراءة الذاتية.
- البحث عن التيمات الأساسية والبيانات المحورية الدلالية والموضوعات المتكررة والصور المفصلة في النص الإبداعي.

1- مرجع نفسه، ص 89.

2- مرجع نفسه، ص 92.

3- ينظر: محمد عزام، المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، ص 38 سابق، ص 96.

- إحصاء المفردات المتواترة وتشغيل المستوى الدلالي عن طريق رصد العقول الدلالية.
 - توسيع الشبكة الدلالية لهذه التيمات المرصودة دلاليا وتفسيرها.
 - دراسة الموضوع المعطى من أجل البلوغ إلى الجانب الحسي في الأثر الأدبي، أو الوصول إلى البنيوية الموضوعية المهيمنة في العمل الأدبي.
 - حصر العناصر التي تتكرر بكثرة بشكل ثابت ولافت في تركيب العمل الأدبي وتحليلها.
 - جمع النتائج التي يتم تحليلها لقراءتها وتفسيرها وتأويلها.
 - ربط الدلالات الواعية والغير الواعية في صورة المبدع الذاتية والموضوعية.
- ومن خلال هذه الخطوات يتضح لي أن المنهج الموضوعاتي يعتمد على المنهج الداخلي للنص المقروء، عن طريق كشف البنية المهيمنة وتأويله خارجيا اعتماد على مستويات مرجعية ومعرفية مساعدة، من خلال إضاءة الفكرة وتجريد الموضوعات والخصائص والانتقال من داخل النص والتأويل الخارجي والعكس، ودراسة الموضوع المعطى من أجل بلوغ الجانب الحسي الأدبي.

عاشرا- نقد المنهج الموضوعاتي:

لم تسلم الموضوعاتية من العيوب شأنها شأن سائر المناهج النقدية، ومن الذين انتقدوا المنهج الموضوعاتي نبيل راغب، خاصة في نقده لموضوعاتية (ج ب) وبير، الذي يركز على ذكريات الطفولة في مقارنته الموضوعية لفاليري، حيث اعتبر الفن بصورة عامة والأدب بصفة خاصة هو تذكرو وتسجيل لتداعيات عند الفنان أو الأديب، إنها مرحلة الطفولة التي تلعب "دورا رئيسا في تشكيل اتجاهات الشخص البالغ"¹، فإن كانت ذكرى فاليري هي سقوطه في حوض الماء، فإن هناك أطفال كثيرون تعرضوا لنفس الحادث، ولم يكن يجد سوى فاليري واحد، ولعل ارتباط الموضوعاتية بالتحليل النفسي جعلها تعاني من عيوب، أهمها "تنطلق من نظام فكري محدد مسبقا، ثم محاولة فرضه على الخيال الإبداعي عند الأديب"²، وهذه عملية تبسيط الحقيقة للعمل الأدبي تجعله مجرد شهادة مزيفة لحالة الأديب.

1- نبيل راغب: موسوعة نظريات الأدبية، مرجع سابق، ص 270.

2- المرجع نفسه، ص 260

ومن سلبيات النقد الموضوعاتي، إهمال الشكل عند الموضوعاتيين الذاتيين والسقوط في الدراسة الضمنية السطحية، و"استعمال التعابير الإنزياحية التي تضر باللغة النقدية التي ينبغي أن تكون أداة وصفية موضوعية"¹.

ناهيك عن صعوبة وجود الوحدة العضوية والموضوعية والمنهجية في كتابات الموضوعيين، لأن كل ناقد تختلف موضوعياته عن الآخر.

النقد الموضوعاتي هو نقد مضموني وشاعري أكثر ما هو شكلي وتقني، سواء ذلك الذي رأيناه لدى "جان بيير ريشارد" أو "باشلار"، لا يكاد يلتفت إلى الجوانب التقنية في تحليل الأعمال الشعرية، وهذه الخاصية تتميز بها لغة باشلار بشكل أقوى، حتى أنه يمكن القول بأن "نقد باشلار نقد شعري إذ صح التعبير إنه معاناة جديدة لمعاني النصوص الشعرية التي يحللها"².

إن الإطار الزمني التي ظهر في هذا المنهج في الدرس النقدي الغربي، يبرز افتقاده إلى نظرية واسعة مما جعل تضيقه غاية في الصعوبة.

ومن الزلات التي وقعت فيها الموضوعاتية أيضا هي إدعاء الإستقلال عن بقية المناهج النقدية وتوزيعها بين القراءات السياقية والقراءات النسبية مما زادها غموضا وتعقيدا، حتى لم تحظى بنقاد يكافحون ويعملون جاهدين من أجلها، حتى رائدها الأول باشلار "ولم يرسم مشروعا نقديا واضح المعالم ولم يضع الأسس العلمية للنقد الموضوعاتي، التي بإمكانها أن تعد بمثابة الإرث المعرفي لهذا الاتجاه النقدي"³، مثلما فعل دوسوسير في السيميائيات واللسانيات والبنوية.

كما أن انطلاق أغلب النقاد الموضوعاتيين من شعرية غاستون باشلار، وقراءاته التخيلية للأشياء والصور والفضاءات باعتبارها مرجعية رئيسية لأعمالهم القرائية، جعل "الاهتمام الموضوعاتي ينصب

1- جميل حدادوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com

2- أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، مرجع سابق، ص 329.

3- أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، مرجع سابق، ص 330.

على المضمون والقيمات والصور المتكررة والمتواترة، على حساب التقنيات التعبيرية والأسلوبية واللسانية والصيغ الجمالية والفنية والتشكيلية¹.

- المنهج الموضوعاتي قام على جذور فلسفية هذا ما أبعدته نسبياً على النقد الأدبي، كما أن خصائصه تتميز بنوع من العشوائية والعمومية.

- لقد نال المنهج الموضوعاتي حظه من انتقادات التفكيكيين حتى أقترح جاك داريدا على أن "لا ينحصر فقد ركن في مركزية المؤلف والقارئ، بل يتعداهما إلى إمكانيات أخرى يمكن الوصول من خلالها إلى الموضوع"²، فاقترح هنا أن يستخرج الموضوع عن طريق إعادة صياغة الأسس القديمة أي عن طريق التجديد.

- هذا النقد معروف بالذاتية مما يجعل القبض على ثوابت هذا المنهج أمراً عسيراً.

المنهج الموضوعاتي قليل التداول وحتى المساحة الذي كان يشغلها في النقد رغم ضيقها، إلا إنها ازدادت ضيقاً خاصة بعد ظهور السيميائيات بحيث ما إن ظهرت السيميائيات حتى انحصرت نشاط النقد الموضوعاتي وتلاشى وتنازل عن مكانه لصالحها.

على الرغم من سلبيات المنهج الموضوعاتي في التعامل مع النص الأدبي، إلا أنه منهج ناجح في التعامل مع النصوص الإبداعية من خلال منطلق التخيل الشعري والذاتي أو التحليل الوصفي الموضوع يقصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة التي تشكل نسيج النص الأدبي، وأذكر منها:

- اعتماد المنهج الموضوعاتي على نقد الأفكار، وتحديد التيمات الكبرى والفرعية، والرغبة في دراسة المسائل العامة في الأعمال الأدبية، "فغاستون باشلار درس علاقة الإنسان بالطبيعة من خلال هذا القول صورة الماء، الهواء، التراب، النار"³.

يرى باشلار أن العقل الإنساني لا يمكنه الخروج من الموجودات.

1- جميل حمداوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com

2- محمد بلوحي: نقد الموضوعاتي في الأسس والمفاهيم، مرجع سابق، ص 2.

3- محمد عزلم: المنهج الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، مجلة الفهولة عن اتحاد العرب، ج1، ط1، دمشق، سوريا، 1999 ص 84.

المنهج الموضوعاتي انفتح على المناهج النقدية الأخرى بسبب تمتعه بالوصف والحرية، إذ استفادا من النقد وعلم النفس والنقد التاريخي والشكلانية والتحليل الفرويدي والبنوية اللسانية، كما استوعب حسانات النقد الديني والنقد الأسطوري، وامتلك النزعة الصوفية والحدس الفلسفي، وفي هذا الصدد يقول جان ريشارد: "الجديون لا ينفون العلاقة بين علم النفس والنقد الأدبي ومن الضروري أن تتحصر"¹.

بمعنى أن النقد الموضوعاتي ليس منغلق على نفسه، بل يستعين بجميع التصورات الأخرى إذ يأخذ الإيجابي ويترك السلبي، ويربط الإبداع الأدبي بالذات في مظاهرها الواعية والغير واعية قصد تحديد أحوال الوعي مستخدما بذلك لغة شاعرية، ومستعينا بالطابع السردى الشرح والعرض على الطابع المنطقي، أي محاولة إثارة القضايا الدلالية أكثر مما هي جمالية وشكلية.

- المنهج الموضوعاتي يساعد الباحث والدارس على استنتاج الأفكار المحورية المتحركة في العمل الأدبي،" له أهمية تربوية بيداغوجيا حيث يساعد هذا المنهج المتعلمين على مقارنة النصوص الأدبية والآثار الإبداعية بشكل فردي أو جماعي، من خلال رصد المضامين والسمات الموضوعية المحورية، وتحديد المفاهيم الدلالية المتكررة التي تتحكم في نسيج النص أو العمل الأدبي."²

خلاصة الفصل :

أستنتج مما سبق أن المنهج الموضوعاتي ومهما تعددت مفاهيمه، هو على أغلب الاستعمال منهج نقدي عرف وأشتهر في النقد الفرنسي بمصطلح (Thématique)، وفي النقد الإنجليزي بمصطلح (thématique) أما في النقد العربي ورغم تعدد المقابلات والترجمات لهذا المصطلح، إلا أن الأشهر في الاستعمال هو الموضوعاتية (Thématique) التي أصنفها على أنها منهج نقدي يعني بدراسة

1- المرجع نفسه: ص 84،85.

2- جميل حمداوي: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال دنيا الرأي في 22-9-2009م، www.dovoob.com

الموضوعات (Thèmes) على اختلاف أنواعها، لأن الموضوع ليس واحدا وموحدا بل يختلف من نص أدبي إلى نص آخر، ولكن يبقى هو المادة الأساسية والمجال الذي تبحث فيه الموضوعاتية، أي أن الموضوع هو موضوع الموضوعاتية.

كما أستخلص من كل ما تطرقه أن تنوع خلفيات هذا المنهج الفلسفية والفكرية، من الوجودية والظاهرية والبنوية، والرومانسية، جعلته يعيش إشكاليات متعددة ويتعرض للنقد.

من أبرز مبادئ النقد الموضوعاتي " أسبقية الجزء على الكل"، أو الانطلاق من "الجزء وصولا إلى الكل"، أو بمعنى آخر أسبقية "القراءة الصغرى على القراءة الكبرى"، والأساس الأول للنقد الموضوعاتي هو دراسة المدلول و"الموضوع/ التيمة" المائل في النص الأدبي، ولعل عدم قيام هذا المنهج على نظرية نقدية هو ما جعله قليل التداول في النقد الغربي عامة والنقد العربي خاصة.

كما أن توزع المنهج الموضوعاتي بين القراءات السياقية والقراءات النسقية، زاده غمودا وتعقيدا وجعله يعاني من عيوب، ومع ذلك يبقى المنهج الموضوعاتي كسائر المناهج له ماله وعليه ما عليه، المقاربة الموضوعاتية تبحث في أغوار النص لإمطة اللثام عن بؤرة الرسالة، وتقصي الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، فإن غايتها هي معرفه الفكرة المهيمنة، فهي تلك المنهج الذي يعني بدراسة وتتبع الموضوعات في أي عمل أدبي كان، شأنها في ذلك شأن السميائيات التي تقوم بدراسة العلامات، وأستخلص من كل هذا أن المنهج الموضوعاتي مفتوح على كل الاتجاهات، وأنه يستعين بكل المناهج في إبراز خفايا النص وتقويمه، ومحاولة مني للاستفادة من الجانب النظري في اكتشاف البنى الموضوعاتية في رواية" الضوء الأزرق لحسين البرغوثي" خصصت لها فصلا تطبيقيا اعتمدت فيه على استخراج الموضوعات الموجودة داخل هذا المتن الروائي.

الفصل الثاني

يقال أن الأديب يرى ما لا يراه غيره من الناس وهذا ما يجعلني أقف أمام الكثير من الأدباء ،الذين رأوا الواقع فألبسوه عيوننا من الخيال، الذي يكشف كل الخبايا المخبأة وراء السطور، وهذا حال كل أديب، ومن خلال هذه الرواية "الضوء الأزرق" التي أراد من خلالها الروائي حسين البرغوثي، أن يصور لنا سيرته الشخصية في ثلاث فصول، يصنفه الناشر على الغلاف الأمامي على أنه سيرة حيث أن الكاتب الفلسطيني حسين البرغوثي هو نفسه الراوي باسمه وبإحالاته النصية إلى محطات حياته، ميز الرواية بنكهة تهكمية ساخرة لم يتبع فيها التوقيت الزمني ولا السرد التفصيلي للأحداث التي مر بها، مما جعلنا نعيش أجواء من المتاهات العقلية، رواية الضوء الأزرق فلسفية عميقة، تفتح عقل القارئ على باب المجانين هذا لكي يصير عاقلا، تصيب قارئها بالدهشة والحيرة والحسرة، والاطلاع الواسع للكاتب في مختلف الثقافات يعطي تنوعا صوفيا للرواية، بعيدا عن ذلك أنها ليست رواية فحسب إنها بحث في العقل والمجنون، في الحلم والغرابة، في الكتابة والمحو، وقد نشر الشاعر الراحل الحسين البرغوثي الجزء الأول من سيرته الذاتية تحت عنوان "الضوء الأزرق سيرة"¹، قبل رحيله بعام واحد فقط، في حين أن الجزء الثاني منها وهو بعنوان "سأكون بين اللوز"²، قد نشر في كتاب بعد رحيله بعامين سنة 2004، وقد أبرم حسين البرغوثي الميثاق في الجزء الأول من سيرته على الغلاف بكلمة سيرة، مؤكدا التزامه بميثاق السيرة وهو ما أعطى لسيرته حضورا قويا لدى القارئ الذي يتعاطف معه، وقد عرض من خلال هذا الجزء قلقه الذي كان يؤدي به إلى الجنون وهو يجري بحثا وراء تفسير محدد لمعنى الضوء الأزرق، كانت سيرة حسين البرغوثي مشحونة بالمعاناة تطرق الكاتب فيها لموضوعات متنوعة عاشها في حياته وبذلك أعطى أهمية للعلاقة بين الذات الإبداعية وما يحيط بها من عوالم خارجية

1- حسين جميل البرغوثي: الضوء الأزرق، سيرة، بيت المقدس للنشر والتوزيع بالتعاون مع المركز الثقافي الفلسطيني، القدس، ج1، ط1، 2001.

2- حسين جميل البرغوثي: سأكون بين اللوز، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ج1، ط1.

وداخلية، هذا ما حاولت تطبيقه من خلال موضوع دراستي، حيث قمت بتتبع الموضوعاتية محاولة مني الحديث عن الموضوعات الذي تطرق إليها حسين البرغوثي في هذه الرواية.

أولاً: طفولته وشبابه:

ليست مرحلة الطفولة هي العنصر الحاسم الذي يحدد اتجاه الشخص في حياته ولكنها مرحلة تظل تتميز بطابعها الخاص في حياة كل إنسان، حسين البرغوثي فتح عينيه على واقع حرمه من أن يعيش مرحلة الطفولة البريئة كما حرم منها كل طفل فلسطيني، وكان حسين واحد من أطفال هذا الشعب الذين أجبرهم واقعهم المأساوي أن يكونوا كبارا مرة واحدة.

لقد كانت طفولة حسين بداية مأساته الخاصة التي ولدت مع بداية مأساة شعبه فشكات مرحلة الطفولة بالنسبة لحسين مرحلة عذاب الذكريات وحرمان من كل ما يتميز به الأطفال في حياتهم البريئة" وأنا طفل في الجبال كنت أحب أن أرى بغلنتنا التي كان أبي لقبها بأمر إسكندر، ويتبعني حيث أذهب كلب عمي وأرتاح في في الزيتون وقدمامي في برودة التراب، وأحرق غربا في البعيد، نحو البحر الابيض المتوسط، لكنني لم أر البحر عن قرب أبدا، فقد احتلت اسرائيل السهل الساحلي كله قبل ولادتي، وسرقت مسالك الجبل إلى البحر¹."

ويتابع حديثه عن ذاكرته الطفولية الجبلية التي نشأ عليها، ومنها كان يجد الأمان الحقيقي بالتطلع من بعيد لكل ألمه وخوفه ابتداء من خوفه من البحر، وأحلامه التي تطارده وقتها طويلا "وكنت أمشي في جبال رام الله، نحو الينابيع، في زرقاة سماء

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 81

الصيف، وغبار الظهيرة، فأكتب اسمي حسين في الزرقة بأصابعي، ثم أبتعد مسافة ما، وأنظر نحوه من بعيد.¹

ولكن الأهم من كل هذا، هو المسميات التي تلتصق به أو ما يلصقه الآخرون فيه مما يشيع في الروح الإيجابية أو السلبية في مراحل عمره المتقدم، فكم اسم حمار كلب، معتوه، مجنون، أهبل وغيرها، قد تضاف قبل أي حوار لأي إنسان، فيكون قاموسه قد عمر بكافة أسماء الحيوانات أو الصفات الدونية، تعبيراً على عظمة الآخرين وتحقيراً للإنسان دون دليل، فقط لقبوه بالأهبل، السطل، الأطرش.

وأخيراً العبقرى بتحليل جميل منه لهذه الكلمة، حينما كتب قصيدة اتهمه الآخرون فيها أنه قد سرقها من شاعر معروف ما. "وعقدوا لي محاكمة في المدرسة، وشاع الخبر، فسميت العبقرى، ليس المهم أنني كنت فرخ أهبل أو أطرش أو عبقرى"²، مشيراً إلى الوادي الذي ذكر في القرآن الكريم "وادي عبقر" الذي يهيم فيه الشعراء ويتهمون بالجنون "اعتقدت العرب أن جن هذا الوادي هي التي تملئ الشعر على أي شاعر، فسمي الشاعر عبقرى، أي على صلة خفيفة وغامضة بوادي عبقر"³، فكل تلك الصفات تكون قاعدة لعلاقة الإنسان بغيره من البشر، وتلك القاعدة نفسها هي التي جعلته منفرداً بعيداً عن الناس، بعلاقة متميزة بغير حسه لتكون الكلمات هي صديقه، "وبدأت أحذف أصوات الإنس من عالمي، وماذا كان بإمكان طفل مثلي أن يفعل؟ كان حبي كله منصبا على الجبال."⁴

كانت هذه المرحلة بالنسبة لحسين في نفس الوقت مرحلة وعي وتفتح مبكر على الوطن وقضية الوطن والأمة، نتيجة ما عاشه من ظلم ومهانة خارج أرضه فقد تعرض لما يشبه

¹ - حسين البرغوتي، الضوء الأزرق، نفس المرجع، ص. 38.

² - مرجع نفسه، ص 145.

³ - المرجع نفسه، ص 145.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 146.

الحرب الأهلية في فترة سكنه في بيروت، من طرف أطفال العمارة الذين كانوا يعترضون طريقه ويهاجمونه، "لعبه أطفال عسكرية تليق ببلد لا يستطيع العيش دون حرب أهلية كل عدة سنوات."¹ هذا ما جعلت فتح ذهن الطفل على مأساة الوطن مبكرا، وانعكست هذه الأحاسيس على كلامه حقدا وتفجر غضبا.² أعني لأن الفلسطيني أول لقب سال منه الدم، وأدركت عندها، ولأول مرة خطورة الكلمات.³ فقد انعكس الإحساس والشعور المبكر بالغربة وقيمة الوطن عند حسين مند طفولته.

لقد ترك الشاعر طفولته وكل أحلامه في وطنه، فصار إذا ما تذكر الطفولة قبل أن يتذكر الجبال والبحر يتذكر وطنه الذي أبعد عنه، وبعد سنوات عاد حسين إلى زيارة أهله في فلسطين، ومن هنا لا بد من أن أذكر أن تم مفردة جديدة دخلت قاموس حسين وهي "بيت"، فالعودة إلى البيت تعني له نهاية تحرش الأولاد اللبنانيين الذين كانوا يشتمونه بكلمة "فلسطيني"، ولكن العودة إلى أفاق الطفولة لم تتم لينتقل في الحين "ورجعت لبوداسبت... قبل هذه الزيارة كنت أحن إلى وطن وبيت وبقاع في الذاكرة تشكل مرجعية لي في المنفى والمتاهات".⁴

وفي مقارنة حسين بين طفولته خارج وداخل الوطن يذكر حسين وهو الذي تذوق طعم الإثنتين معا، أن الثاني داخل الوطن كان الأقسى والأصعب لأن النفي خارج الوطن وما يتعلق برفاق الطفولة له ما يبرره.

وإذا كان موضوع الطفولة والأطفال قد شغل الكثير من الأدباء خاصة الذين عانوا من ويلات القهر والاضطهاد فإنه عند حسين نابع عن تجربة ذاتية خاصة عمقت اندماجه

1- حسين البرغوتي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 151.

2- حسين البرغوتي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 151.

3- المرجع نفسه، ص 152.

4- المرجع نفسه، ص 87.

بكل شيء في وطنه، الناس والأرض والمأساة ما جعل حسين يعيش طفولة صعبة "منذ الطفولة كنت أفقد إدراكي بين فينة وأخرى".¹

ثانياً: الصراع

تقوم الرواية أحيانا على عرض حياة أصحابها والوقوف على أهم النقاط التي أثرت في حياتهم، ولا توجد نفس بشرية تخلو حياتها من الألم والصراع سواء أكان هذا الصراع داخليا بين الإنسان وذاته، أو مع العالم الخارجي المحيط به.

والصراع في معظم الأوقات، يكون حافزا لدفع صاحبه إلى التمرد على المعوقات في الحياة والرغبة في التقدم والتواصل إن كانت نتائجه إيجابية، وإن كان سلبيا يدفع بصاحبه إلى اليأس والقنوط، والقارئ لسيرة البرغوثي يلاحظ نقل وتصوير هذا الصراع الذي يعده، إما مقدمة للنجاح الذي أصابه وإما مقدمة للفشل الذي ألم به، وقد يكون هذا الصراع صورة للاندفاع المتحمس أو التراجع أمام عقبات الحياة، وقد يكون تفسيراً للحياة نفسها وقد يميل فيها البرغوثي إلى رسم الحركة الداخلية لحياته مغفلا الاهتزازات الخارجية، نتيجة شعوره باضطهاد المجتمع وإحساسه بواقع ذنوبه مريحا ضميره بالتحدث عنها، وبخروجه سالما من لجة الصراع النفسي والفكري إلى ساحل من الطمأنينة رسم صورة لذلك الصراع وأنهى قصته بالهدوء الذي يسبق العاصفة والاستبشار الذي يأتي بعد اليأس، "سأقتل في نفسي كل حزن يكسر روحي ويشكو من وحده الرحلة وأرقص"².

الإحساس بالقلق والحيرة، كله ينطوي تحت الصراع الروحي والنفسي والفكري، أما الصراع مع البيئة المحيطة بالفرد، والوقوف منها موقف سوء الظن فهو صراع مع الحياة الاجتماعية والموروث منها: كالعادات والتقاليد والمجتمع.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص. 198.

رسم حسين البرغوثي صورة لذلك الصراع الذي لا يمكن للقارئ معرفته والوقوف عليه دون رغبة البرغوثي في ذلك، وحتى تصل الصورة للقارئ لجأ حسين إلى تصوير الصراع الداخلي الذي تعرض له في فترات حياته المتعاقبة.

ولا يكون ذلك إلا بالتعبير عن الحالة الشعورية التي مر بها، وكان لها تأثيرها على مجريات حياته.

يتحدد الصراع بشكل واضح في سيرى حسين البرغوثي ويصل الصراع الداخلي لديه، إلى درجة تجعلنا نشعر بأن نفسه تنقسم إلى قسمين: الأولى واقعية تحيا حياة عادية والثانية تعيش خارج إطار إرادته لا يعرف كيف يواجهها أو يمكسك زمامها، وكأنه يعيش في حاله انفصام في الشخصية، فأحيانا كانت الشخصيتان تتوحدان وتتصهران في بوثيقة واحدة فيتعمق الصراع عنده، "كان أيامها في برنامج الماجستير في الأدب المقارن في جامعة واشنطن سياتل، على الأقل خارجيا كنت كذلك، لكن داخليا كنت على حافة الجنون، أعني يهيمن علي رعب ما، من أنني سأفقد عقلي."¹ الإدراك هنا ناجم عن صراع داخلي وربما كان نتيجة رفضه للواقع الذي يعيشه، وها هو يقول "من أنا شخص يصر بأن له هوية حقيقية؟ لم لا أنحت رواية، محض خيال، عن جنوري؟ ومع الدليل أن جنوري حقيقية."² بهذه العبارات المتزايدة يكشف حسين عن عمق الصراع الذي يعتمل في أعماقه فأصراره على هوية حقيقية يعني إصراره على وجود لم يشعر بأنه تحقق كما أراد أن يكون، إنه يبحث عن أشياء كثيرة ولكنه لا يجدها فيولد ذلك ضغط على شعوره، ما يزيد في إرهاصات لا وعيه فيسبب له ذلك الألم بصورة شبه مستمرة، ما يفقده وعيه بين الفترة والأخرى.

نلمس في سيرة حسين البرغوثي "الضوء الأزرق" إحساس نقله لنا متمثل في الصراع، الذي يثير في نفوسنا ألوانا من المشاعر تحفزنا على مشاركة تجاربه وخبراته

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 10 - 9.

² - المرجع نفسه، ص. 25.

وعلى عاطفنا مع مواقفه وأفعاله، إذ عمد حسين إلى تصوير الحالة الشعورية الغريبة التي تعتريه فتوقعه في غيبوبة، تجعله يغيب عن العالم الخارجي ولا يعود يتذكر أي شيء من هذا العالم المحيط به، إلا بعد أن يمر على دخوله في هذه الحالة الشعورية وقت، بعد أن يشاهد شيئاً ما يربطه بالعالم المحيط به وبالواقع الذي يحياه. "جئت إلى هذه المدينة هرباً من مدن كبرى... كنت أبحث عن منطقة طقسها معقول وقت لنفسي ولترتيب فوضاي، لأشهر لم أتكلم مع أحد وأتسكع وحيداً بين أشجار الغابة المحيطة بالحرم الجامعي، ليلاً وأفكر، أفكر، أفكر... أفكر دائماً في شيء ما، في مضمون ما، فلسفة ما، قصيدة ما، أفق ما، ولكن اكتشفت أن المشكلة ليست في ماذا بل في كيف أفكر."¹

هذه اللغة القلقة المضطربة الملتزمة لشيء ما يدور في داخل الكاتب، تنمو عن شيء، عن روح شفافة ونفس مرهقة، تتلمس معنى لوجودها وحياتها ويقودها حس شعري وعقل تبحر في الفلسفة وعلم النفس.

وقد يكون سبب الصراع الداخلي في حياة البرغوثي ناتجاً عن مؤثرات خارجية، كسلطة الأب المسيطر الذي يعطي أوامره دون الالتفات إلى ردود فعل الأبناء، "طردني أبي من البيت بعد يومين من وصولي لم أتعرف عليه كأبي ولا على بيت كبيتي ولا حتى كبيت، تخاصم كعادته مع أمي فرفضت التدخل وقلت له اعتبرني في فندق ولا دخل لي بما يحدث فيه فطردني."²

فالبرغوثي نتيجة سطوة أبيه لم يتأثر بوفاته، "دفعنتي أمي من الخلف ولم أتحرك وقلت لنفسي لا أريد طعم الموت على شفتي ما دمت حياً يرزق، ثم مشيت بعيداً، مات ولم أقبله حتى في نعشة."³

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 10.

2- المرجع نفسه، ص. 87.

3- المرجع نفسه، ص. 90.

ما جعل حسين يعيش الإحساس بالذنب ولوم نفسه، لأنه لم يتأثر بوفاة أبيه ولم يقبله في وداعه الأخير "هل سمعت عن شفاه تشعر بالذنب؟ هذه شفاهي".¹

تولد صراع البرغوثي أيضا نتيجة بحثه عن ذاته وعن الولادة الحقيقية، في محاولة فهم نفسه من التأمل والصمت لما يحيط به حتى لتلك الأشياء التي نطن أنها عابرة ولا قيمة لها، كان لها الأثر عند البرغوثي، فعندما أشار لنفسه أنه لأشهر لم يتكلم مع أحد، كأنه أعاد روحه إلى رحم أمه وما يحيط به من هامش الكون، ويبقى وحده يتابع حياته بصمت هناك، حسين تسكنه العزلة وهذا واضح عندما قرر أن يترك كل شيء وراءه ويتابع حياته "وصرت أفر من نفسي ومن كلامي".² كأنه يحاول اجتثاث نفسه من الذاكرة، قد تكون العزلة عند البرغوثي أمر طوعي، لكنها قد تكون خلاف ذلك فيمكن أن تكون بفعل الخنق الذي يمارسه المجتمع، ومن هنا يمكن أن افهم عبارة حسين الشهيرة " غريب كم يبدو المكان كمصيدة أحيانا".³

فحسين كان يخشى أن ينزلق من الواقع أو أن ينزلق الواقع من قبضته.

وأجد أن كثيرا من ذكرياته قوامها الخوف وعدم الاطمئنان والاستقرار ويتجسد أثر ذلك في وصفه لطعم الموت حينما كان يغرق في البحر في صغره، "كدت أغرق ليلتها، وسحبتي هي منه، لم أرى قوة موت بهذا الشكل من قبل، ولا شممت رائحة كرائحة، ولا سمعت هديرا أسودا كهديره، ولا قلقا يشبه هذا"⁴ لكنه يبدو أنه أخيرا توصل إلى حل لمخاوفه من البحر "كنت أرى البحر رائعا... وأراه يطاردني، ولكن لم أر أبدا كيف كان البحر يراني".⁵

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 151.

² -المرجع نفسه ، ص. 90.

³ - المرجع نفسه، ص. 13.

⁴ -المرجع نفسه، ص. 82.

⁵ - المرجع نفسه، ص. 131.

كان حسين مسجوناً داخل نفسه وتلك من أصعب التجارب التي يمكن أن يمر بها الإنسان، ذلك القلب الذي أخبره بري عنه "قلبك لم يتعلم أن يشعر يا رجل، ولا أن يعيش في شعوره، إلا في حالة واحدة تحويل نفسه إلى جحيم".¹

ما جعل حسين عاش منغلقة وسط تجربته الخاصة، فحاول أخذنا معه في متاهات ورؤى فكرية مختلفة، أي التعبير عن متاهات ورؤى فكرية مختلفة، بمعنى التعبير عن الجنون بحكمة، وفي علم النفس هناك مصطلح يسمى بفنجان العواطف وكل شخص فينا يملأ فنجانه بالعواطف بناء على تجربته الخاصة، وفنجان حسين ممتلئ حتى الثمالة.

سيره البرغوثي لا تكاد تخلو من صور الصراع والذكريات وكل حياته عبارة عن مسلسل من الصراعات، وأرى هروب البرغوثي بأحزانه الماضية إلى مساحة تخصه وحده، وفي نهاية كتابه يقدم ما يمكن تسميته تنازلات عن عدة عادات وأفكار وصراعات امتلكته حتى يتمكن من أن يعيش حياته "وقررت أن أستقيل عن عدة عادات في حياتي، ألا أسعى لأن أكون الأول في كل شيء".²

صور الصراع عند البرغوثي متنوعة بين ألم، وحزن، وجنون، وقلق وذكريات، هذا الصراع تولد عن اصطدام الإرادة بين شخصية حسين التي لا تريد أن تستسلم وبين القوة الغاشمة التي تريد أن تكسر شوكته.

ثالثاً: الأحلام والرؤى.

يعد الحلم نصاً مثله مثل أي نص ينتجه الإنسان، غير أنه ذو طبيعة خاصة، إذ يظهر في حالة النوم، ويتخذ شكلاً خاصاً يولد الحيرة عند الروائي، ويصبح بذلك نصاً عصياً على الفهم، يحمل الحلم أكثر من معنى رغم قصره.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 170.

² - المرجع نفسه، ص. 197.

وهذا ما كان يعيشه البرغوثي إذ سجل كثير من الأحلام التي كانت تؤرقه وتتكرر مرارا، والتي تتداخل مع واقعه وقراءاته، وتفصح عن باطنه وينتقل من خلالها إلى عالم آخر يمثل قطيعة مع العالم الحقيقي الذي يهرب منه، يقول "كنت أتخيلني في مدينة. فارغة تماما من أي إنسان، مدينة من نحاس أحمر كنت قد قرأت عنها في ألف ليلة وليلة، بأرصفة من نحاس ودكاكين من نحاس، وشجر من نحاس، وأحيانا في الليل، أتجول فيها والأضواء خضراء، خضراء جدا، وحيث نظرت مرابيا، مرابيا، مرابيا، وما من أحد".¹

تطرق حسين في هذا القول إلى إحدى قصص ألف ليلة وليلة، وهي "حكاية مدينة النحاس" حيث المدينة خالية والناس فيها موتى، يجسد الوحدة التي يعيشها، بالرغم من المساحات التي تحيط به والبشر إلا أنه منغلق في الضيق والحزن.

وهذه الأحلام تسكنه لدرجه حضورها في يقظته فيقول "لم أكن أحلم بها، كنت أراها في ذهني في اليقظة، محض خيال فقط ولكنها تسكن أغوارى".²

كان للتخيلات دور بارز في سيرة حسين الذاتية، وهو يصف الحالة اللاشعورية التي كان يمر بها، ومما يلفت النظر في هذه السيرة وجود البحر الذي كان يأتي على هيئة حلم يتكرر مرارا ويطارده دوماً "وصار البحر يطاردني في أحلامي لسنين، ولكن لم يتوحد طفل الجبل بالبحر، لم يصيرا واحداً، كان يستيقظ من حلمه وهو يرشح عرقا مالحا، وكأن البحر يرشح منه، من جسده من إبريق فخار يدعى جسده".³

وقد تحول البحر عند حسين إلى مصدر خوف وقلق يطارده، ويحطم رغباته، بل ويعجز عن تجاوزه حتى في أحلامه، ويصف الكاتب ذلك "كنت أحلم بالبحر يطاردني... يبدأ الحلم الكابوس ليس من الحمام العسكري حيث كدت أغرق بل وأنا على الحجر

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 185.

2- المرجع نفسه.

3- المرجع نفسه، ص. 83.

وملابسي بيدي، ترتفع الزرقة بالتدرج، وكأن البحر يدعوني إليه، فأهرب خطوة للخلف، ويهيج فأهرب، ويلحق بي.¹

وتبدو لي أحلامه عن البحر تعبير عن روحة المثقلة بالخوف، إذ تظهر فيه ألفاظ تدل على تغلغله (الهروب، الغرق، الملاحقة)، وتكشف عن التأثيرات التي خلفها الرحيل عن أرض الوطن والانتقال الى أرض أخرى وكأنه يحلم بتلك الحالة التي تشعره بقرب الجنون وأنه على حافة الجنون وأنه على حافة الانهيار، فتفتتح له نافذة للتخيل والتخييل.

وتم رؤية أخرى كانت تتكرر لديه، "وباغتتني رؤية أخرى بعدها، كان مقدرًا لها أن ترافقني لسنوات: سماء عالية تشبه لوحة مدهونة بزرقة فاتحة، تميل هنا وهناك لبياض كالح، ورأيتني تحتها نسرا رماديا يخلق عاليًا، وبسرعة فائقة، ويرى أرض ذاكرتي كلها... فقط ينظر بحياد لا عهد لي به وبدأ أنه لا يتدخل في شيء، و رأني هنا على حافة النافورة، فوقف قليلا في الزرقة، ونظرت إلى الأعلى، و التقت أعيننا، وبدا وكأنه يتأملني بصمت، ثم واصل طيرانه نحو ما لم أكنه بعد."²

وفي هذا المقطع ألمح تفكير حسين بالمستقبل وقلقا يكتسيه ويغويه بمشاعر الخوف، ويتجسد لديه شعور يعمق من مأساته إذ يكشف النسر وبكل بساطة عن رغبات الكاتب وتفاصيل حياته بصمت وسرعة كبيرة.

وبصورة عامة أحلام حسين تتكئ على مجموعة من ذكرياته، وتأتيه كثيرا لرغبته في اللجوء إلى الحلم هربا من الواقع، وفي بعض الأحيان يمكن أن يدخل الحلم وهو نوع من الخيال بحركة اللاوعي في ثنايا السيرة، ولكي يكون مؤثرا على البنية الداخلية في النص، لا بد من انسجامه معه، فالأحلام جزء من حياة أصحاب السيرة سواء كانت أحلاما عادية أو أحلام اليقظة، وتأتي هذه الأحلام تبعا للحالة النفسية التي يكون عليها

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 44-45.

² - المرجع نفسه، ص. 80.

صاحب السيرة، وهذا بارز عند البرغوثي في محاولة منه لتلبية طموحاته المختزنة في لاوعيه.

ولأخذ مثال عن ذلك "تخيلتني بحرا في أقاصي ضباب أزرق واسع فيه قوارب ضائعة، وموج يتزامى مثل خيول من الزبد، بروعة يتزامى، وفي كل الجهات، ولكن الصياغة كلها حمقاء.¹"

وهنا يمكن أن نتخيل مدى الخوف والجزع الذي انتاب حسين في كابوس كهذا كان كفيلا بشدنا إليه لمحاولة معرفه ما جرى له من خلال ما قالته لنا ذاكرته المتوهجة.

ومما يذكر أن هذا النوع من الأحلام التي كانت أقرب إلى الكوابيس قد لازمته لفترة طويلة، بعد أن تلقى حجرا بالبريد بواسطة طرد، ولم يتمكن من معرفة المرسل².

وسرده لهذا الحلم بالذات ووجوده داخل ذاكرته دون أن ينسأه هو دليل كافي على ماذا تأثيره على حياته الشخصية ورغبته في نقل هذه الخلاجات النفسية للقارئ، ليعيش معه عمق الألم الذي وقع على كاهله في تلك المرحلة من حياته.

نهاية أحيل أن الذاكرة المعتمدة على مزج الحقيقة بالخيال تكون قادرة على نقل تجربة صاحبها للأخرين، لتشد انتباه القارئ ليتعاطف معها، هناك حيث يصبح الكل سواء ولا فرق بين عاقل ومجنون، حكيم ومغفل، أو بصورة عامة تلغي صور التوازن بين واقع وخيال حسين، ولكن الخيال والأحلام قد تخرج السيرة عن مسارها وتحولها الى مأساة، ومن هنا أجد أن للرؤى طابعا مثيرا، وهي وسيلة يواجه بها الكاتب واقعه ويجابهه ليؤكد استمراريته.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 131.

² - ينظر، المرجع نفسه، ص. 161-166.

رابعاً: الغربة.

تعد الغربة ظاهرة بارزة لها حضورها المميز في أدبنا العربي، فقد رصد العصر أزمتها ومشاكل مختلفة، سياسية، اقتصادية، ثقافية، فكرية وعلمية وأدبية أدت إلى حدود مشكلة عويصة يصعب حلها، وجعلت من ذلك أزمة أو صدمة في نفسية المبدع العربي أو الأدبي بوجه الخصوص وجعلته يغترب، شكلت من ذلك رواية أو مجموعة من المؤلفات الأدبية التي تناولت فيها ظاهرة الغربة.

وفي رواية الضوء الأزرق لحسين البرغوثي، برزت ظاهرة الغربة بمظاهرها المختلفة والمتعددة عند شخصية حسين البرغوثي نفسه، حين غادر قريته كوبر لبيروت بسبب الاحتلال ثم انتقل إلى عدة مدن لإكمال دراسته "وجئت إلى هذه المدينة هرباً من مدن كبرى مثل نيويورك".¹

لقد جاءت شخصية حسين، عاكسة الجوانب الاغترابية المختلفة في روايته وتبعث لنا صورة ذهنية نفهمها فقط من خلال تحليل شخصيته المغترية، حيث رصدت لنا الرواية معاناة حسين في الغربة وعلاقته بالوطن العربي وبلده بصفة خاصة.

اعتمدت الرواية وبشكل واضح على ذاكرة البطل لاسترجاع الماضي والذكريات التي تخضع بنفسها، إلى ما يسمى بالاغتراب وهذه الظاهرة تجلت في شخصية حسين كونه يحفظ دائرة السرد الروائي وينتج التواصل الذاتي، أي الذات مع ذاتها مع أسلوبه الخاص ومشاعره وعواطفه المتعلقة بنفسيته، ليخلق لنا صورة واضحة لخياله ونفسيته المغترية، التي تشكلت من خلال التصورات الذاتية وعالمه الداخلي والخارجي.

تسعى الذات دوماً إلى إثبات وإبراز ذاتها، فالشخصية التي لا تستطيع الإحساس بمعنى ذاتها لها ما يميزها من العقل والخيال، يقع الإنسان في الظاهرة السلبية التي يعاني منها العالم ذلك عند فقدان الذات والمعنى الحقيقي لها ولا شك في أن وصف

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 10.

الاغتراب عن الذات، على أنه تجربة سوف تؤدي إلى صعوبة مفادها أن الاغتراب عندما يكون تجربة فإن ذلك يتضمن الوعي بأن شعور الإنسان بذاته ليس هو الشعور الصحيح، الاغتراب الذاتي يتولد من خلال فقدان الإنسان لإحدى سماته الذاتية الأصلية أو جميعها يجعل من الإنسان فاقدا لذاته، ويقع في الاغتراب الذي ينشأ عنه مظاهر عديدة تتداخل مع مختلف أنواع الاغتراب.

يسعى الإنسان دائما في هذه الحياة إلى بناء عالم خاص به يسوده الحب والأمان والهناء كذلك الرحمة، وكل أفراده يتحلون بروح التسامح والتعاون، خاصة أفراد الأسرة الواحدة من الأب وصولا إلى الحفيد لكن سرعان ما يصطدم بالواقع الصعب المشوه الذي يفرض نفسه ويكسر الأحلام، فيصبح بعد ذلك الشخص هائما في دوامة المشاعر والأحاسيس المتضاربة.

هذا النوع من الاغتراب يعد أبرز الأنواع الاغترابية وفيها يبين حسين المغترب عن وطنه الذي كان يأمل أن يعيش فيه أماله، وأحلامه وسعادته، ويبرز لديه الشوق لأيام حلوة لم يذقها "كنت أحن إلى وطن وبيت وبقاع في الذاكرة تشكل مرجعية لي في المنفى والمتاهات وفجأة تحرك الحوت نحو الأعماق وبدا كل شيء يغرق." ¹ إلا أنه سرعان ما جرفته رياح التغيير في مجتمعه الذي عاش فيه، وذلك بسبب الحرب التي طرأت على بلده مما جعل حسين يشعر بالاغتراب عن واقعه ليجد نفسه في آخر المطاف منفي ومغترب عن وطنه.

درست الرواية الاغتراب من الجانب الذاتي باعتباره تعبيراً عن المشاعر المختلطة والأحاسيس الغير مفهومة فينتج عن ذلك تداخل في المشاعر المختلفة منها المحبوبة والمكروهة، تدخل جميعها في صراعات مختلفة بين الوعي الداخلي الذي يحكمه الحب

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 87-88.

والشعور والعقل والأخلاق الجيدة ومختلف الصفات، والوعي الخارجي الذي يفرضه الواقع المعاش.

العزلة الاجتماعية هي الأخرى كذلك لها حضور في الرواية، والتي تعتبر الحالة التي ينفصل فيها الفرد أو أصحاب الأسرة الواحدة عن مجتمعهم أو صديق عن صديقه وهذا ما نجده في الرواية حين انفصل حسين عن صديقه بري، "تهضت وقلت بري يا رجل يبدو أن وقت الوداع جاء، هز رأسه، ومرت دقائق صمت وفهمت أن علي أن أخرى".¹

يعد الاغتراب تعبيراً إنسانياً عن معاناة وجودية ذات أبعاد نفسية واجتماعية، فحسين شعر بالألم لفراق صديقه القريب منه، ويعد الاغتراب النفسي نوع من أنواع المعاناة الداخلية للنفس الإنسانية، فقد أدى الإحساس بالوحدة والعزلة عن الوعي الخارجي إلى تأثير سلبي على نفسية حسين، وهذا ما دفعه إلى الهروب والتخلي عن الوعي الخارجي، والبحث عن وعي ذاته الداخلي لتحقيق نوع من السعادة، لكنه سرعان ما يصطدم بالتفكير، فأصبح الاغتراب النفسي يسيطر عليه "أنا خير دليل ضد نفسي، كان وجعي مما أراه في نفسي هذه لا يطاق فليس من السهل أن نرى الحقيقة وبالأخص حقيقتنا نحن".² لعل الاغتراب الذي عانى منه حسين سببه العلم ما حدث في بلاده، لكن الظروف والتفاصيل الصغيرة تلعب دور كبيراً وتحدث فرقا مختلفاً.

كما نجد تطرق الرواية إلى الاغتراب من الزاوية المكانية، فالمعروف أن الانسان يرتبط بالمكان ارتباطاً وثيقاً فهو مكان النشأة ومكان الحياة، وله دور هام في البناء الروائي ولا يمكن تصوير حكاية أو رواية دون مكان، ليأخذ كل حدث مكان وزمان معين، فالمكان هو الذي ستجرى فيه أحداث الرواية

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 190.

² - المرجع نفسه، ص. 168.

فقد حسين علاقته بالمكان نتيجة الضغوطات السياسية والحروب الواقعة فيه، فسعى إلى البحث عن بديل وعن متنفس آخر في الراحة والاستقرار.

وللمكان دور مميز في أحداث الرواية يبعث في القارئ وفي نفس المغترب روحا وشعور خاص وفجوة نفسية، بعد أن غادر حسين وطنه بدأ الخوض في رحلة جديدة تبدو لنا فيها تجليات الاغتراب المكاني والمعاناة بصورة تلقائية مباشرة وجد واضحة.

البنية المكانية لدى البرغوثي تمثلت في: سينماتك الوهم العظيم وحانة القمر الأزرق ومقهى المخرج الأخير، شكلت هذه الأماكن الثلاثة علاقة ذهنية شكلانية، وربطت الحالة النفسية للشارد بشخصه على هيئة ثنائية ضدية، مليئة بالترميز ومنتجة للأفكار، "غريب كم يبدو المكان كمصيدة أحيانا لسبب ما، وجدنتي أتتقل بين هذه المقاهي الثلاثة، وأبحث عن نفسي."¹

ومهما يكون من أمر هذه الأمكنة وعلاقتها بالمكان الأول للشارد قريته كوبر، فإن الثابت من خلال محاولة المقاربة للفضاء المكاني، رصد التحولات التي يمر بها الإنسان خلال تنقله من مكان إلى آخر وتأثيراتها على شكل الهوية الفردية "العقل دولا ب وكلما دار الدولا ب تغيرت طريقتنا في النظر إلى الدنيا والحياة وأنفسنا وتغيرنا."²

الحالة النفسية للمغترب هي التي تحدد طبيعة ونوع المكان، إن كان أليفا مريحا أو معاديا يشعر فيه الإنسان دائما أنه في حالة نفسية كئيبة.

تمتلك الشخصيات أحاسيس مختلفة للمكان فمنه من يشعر بالألفة لذلك المكان وبالعداوة إلى مكان آخر، فرواية الضوء الأزرق تقوم على المكان، فالمكان في هذه الرواية يشكل حيزا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه، فهو ما يجعل من العمل الروائي فضاء كبيرا يحوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينها من علاقات، وهو المنظم الأول لأحداث الرواية وتطويرها، ولعل أهم مكان في هذه الرواية

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 20.

² - المرجع نفسه، ص. 36.

هو "سياتل" المكان الذي قابل فيه حسين العديد من الشخصيات وكان هنا الاغتراب مشبعا بكل التفاصيل المتنوعة.

لم تسلم العصافير حتى هي من الهجرة بعد أن تحولت فلسطين إلى مكان لا تسمع فيه سوى صوت الانفجارات والحروب" عندنا في فلسطين العصافير مصروعة تفر من أي دليل على أي ألفة بينها وبين الناس.¹

كما يعتبر البيت أحد الأماكن المغلقة بالنسبة للمجتمع ومكانا مفتوحا وواسعا بالنسبة لأفراد العائلة الذين يعيشون فيه، تبرز ظاهرة الاغتراب المكاني هنا أيضا في البيت الذي أصبح من الضروري اغتراب حسين عنه لأن هناك دافع قوي فرض عليه ترك منزله والبحث عن مكان آخر يجد فيه نفسه" أهلي هم الغرياء وبدا لي هؤلاء الناس أقاربي أهلي أصدقائي وكأنهم جاؤوا من العصر الأشوري أو من كهوف ما قبل الذاكرة.²

كما تناولت الرواية الاغتراب من الناحية الزمانية، فحسين ارتبط بالزمن أكثر من المكان واضح في عباراته (خرجت من السينما سنة 1964، وصلت الحالة في 1985، في ستينيات القرن الماضي)

فالزمن يولد في نفسيته الشعور بالقلق والحزن، عكس المكان الذي يخلق فيه تأثيرا حسيا، فالزمن يشغل العقل ذهنيا وفكريا، أما المكان فيشغل الحواس بالإدراك الحسي" كنت أرجف إلى درجة ركضت ركضت بأقصى قواي في الواحدة ليلا لساعة تقريبا ولما توقفت وجددتني في جبال خالية برية بعيدة عن أي إنس أو جن"³ وضح لنا حسين هنا شعوره وتفكيره الطويل الممل مع ظلام الليل.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 10.

² - المرجع نفسه، ص. 87.

³ - المرجع نفسه، ص. 12.

خامسا: الهوية

تعد الهوية من المفاهيم التي لها حضور في رواية حسين البرغوثي، تشكل الهوية يعتمد جوهرها على تطوير الثقة بالنفس واحترامها ومدى تقييمها وتقديرها، إن المتغيرات التي يحدثها العقل من أجل التأقلم مع العقلية الجديدة من أسباب نشأت الهوية، " لم أتكلم مع أحد لتسعة أشهر لم أكن أعرف أحد وكنت أمشي حتى الصباح في الغابة المحيطة بالجامعة"¹، وهذا يعني أن الفرد لا يتأقلم مع العقلية الجديدة من حيث المتغيرات التي تحدثها كل من اللغة والدين والثقافة.

وإذا تأملنا جيدا رواية الضوء الأزرق، نجد أن حسين حين سافر إلى سيائل من أجل إكمال دراسته في الأدب المقارن قد عاش العديد من الأزمات هناك، حيث عانى من الوحدة والانطواء وعدم الشعور بالانتماء لهذا لبلد الغريب وحاول التأقلم مع العقليات الجديدة في البلد الجديد من خلال تعرفه بشخصية ماري و الزواج بها، حاول البرغوثي أن يتخلص من هذه الوحدة ويحصل على الهوية بالزواج من ماري، "عرضت عليها أن نتزوج إما يأسا من الحياة أو لأنني كنت أعب دور مسيح يوزع من فوق صليب زهورا على راهباته، أو لأنني كنت أريد امرأة في الليل بأي ثمن."² بمعنى أن حسين حاول أن يضمد جراح الغربة والشعور بالوحدة والعزلة، باللجوء للمرأة باعتبارها الترياق له لسم الغربة.

ومن المعروف أن الإنسان في صراع دائم مع ذاته ومع الآخر نتيجة الظروف الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية، مما يولد أزمة داخلية تجعل الفرد يشعر بأنه غير مرغوب في البلد الجديد، فيصبح الإحساس بالعجز والغربة ملازما له، وهذا ما يجعل

¹ حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 20.

² -المرجع نفسه، ص. 93.

حسين غريبا عنه." وأمها وطبيبها اتفقا على أنني تزوجت منها لأنني بلا هوية، ولا أرف من أنا وربما كانا على حق.¹

جسد لنا حسين نظرات الاحتقار للشخصية المغتربة أو الفلسطينية في البلد الغريب" السود نادرا ما يأتون إلى هذا المحل الضخم الأبيض وإن قدموا تلبسهم فكرة أنهم سود.²

وهنا أشار حسين إلى نفسه فهو يتذكر أنه مجرد لاجئ فلسطيني بلا هوية، ليأخذنا معه في رحلة بحثه عن ذاته رابطا الذات بذاكرتها وتجاربها وتاريخها وما يطلق عليها من مسميات الهوية، "نحن العرب نحس بقلقة في أغوار هويتنا فنبحث عن جذورنا في الإسلام في القرن السابع أو في أبعد من ذلك منا من يرجع لجذوره الفرعونية أو الفينيقية أو الكريتية، فنحن الفلسطينيون أصلنا مثلما يقال من شعوب البحار التي كانت تطوف البحر المتوسط، ومنا من رجع بهويته إلى كريت، قبل آلاف السنين وهذه الجذور حية رغم قدمها.³

يبدأ الإنسان بصنع الهوية التي تتاسب مخيلته، فكل شخص فينا يصنع الهوية التي تتاسبه أمام الجميع وليس تلك الهوية التي تلصقها بينا القيم والتقاليد، بل ما نحب أن نظهر بها أمام الآخرين، في حديثه عن جوني الذي حاول أن يوجد تاريخا يرضاه لنفسه وحقيقة أمن فيها "هذا هو جوني إنسان بلا مكان كون لنفسه هوية متخيلة."⁴ مشيرا هنا إلى الإسرائيلي الذي ليس له هوية ولكنه يتخيل أنه فلسطيني. بينما حسين يتساءل عن هويته وأصله ليصل إلى ذاته الحقيقية ذاته التي بنى معها وفيها ومنها، "من أنا؟ شخص يصر بأن له هوية حقيقية؟ لما لا أنحت رواية محض خيال عن جذوري؟ وما الدليل أن

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 96-97.

² - المرجع نفسه، ص. 22.

³ - المرجع نفسه، ص. 22-23.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 24.

جذوري حقيقية؟ وتلبسني هذا التاريخ السحيق ولدت في قرية وذاكرتي قروية وبابل ومصر إرثي، أما أشكال جوني فلا ذاكرة لهم إلا المدن الكبرى الحديثة لا يعرف ولم يسمع بشيء يدعى قرية¹.

وهنا يؤكد حسين أن جذوره وهويته حقيقية فالذاكرة إما أن تكون حقيقية بناء على تجربة ومعايشة كل الفرد، وإما أن تكون مبتكرة بناء على تطلعات الفرد وخياله وأحلامه في عقله، تتحول إلى قناعات حقيقية، فيبنى حياة بأكملها قائمة على الأوهام والتخيلات.

تمسك حسين بأصله ولم يسمح للسلطات الإسرائيلية بتغيير هويته، "شعرت برعب ما من مسح دماغي من التحول إلى دمية في يد مسؤول خلف مكتب يوجهني بجهاز التحكم عن بعد، فغادرت."²

يبين لنا حسين أنواع الهويات وكيفية تشكلها، بداية من الهوية الفردية، فحسين كان يفقد الهوية الذاتية الخاصة به بالرغم من تناولها في مواقف تظهر على السطح بشكل طفيف، فهو يشعر بوجوده عندما يكون لوحده جالسا في جبال رام الله "فأستدير وأهرب أهرب ليس نحو الجبال في عالية أو نحو جبال الأزرق الشهيرة في لبنان بل نحو جبال طفولتي في رام الله"³، ثم تحدث عن الهوية الحقيقية مثل الفلسطينيين لأنها قائمة على ذاكرة وتاريخ حقيقي غير مزيف، "هويتي تنتشر حتى في ملابس هويتك محارب وليس كضحية ممكنة."⁴ وهناك الهوية المتخيلة مثل الأمريكي والصهيوني، فهو شخص بلا تاريخ وبلا كون واخلق له هوية مزورة تلائم معتقداته، وهذا ما تجسد في حوار مع البنت السوداء في نقاشهم حول أصل مشكله كل منهما وهو يتحدث كثيرا عن السود فنجد عديدا من الحوارات بينه وبينهم تعمل على تكريس فكرة ما يريد إيصالها، إذ كان

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 25.

2- المرجع نفسه، ص. 31.

3- المرجع نفسه، ص. 45.

4- المرجع نفسه، ص. 118.

يجمع بين قصتين، الأولى محملة بدلالات المعاناة تلك التي يخوضها السود وتلك المعاناة المستمرة التي يعيشها الفلسطينين، وهي تشحن هذه السيرة بملابسات مختلفة عاشها حسين على مدار حياته حتى هو خارج وطنه. وتوجد أيضا الهوية المنفصمة فعندما يشعر شخص بالدونية اتجاه نفسه ويسعى لأن يكون غيره فإنه سيتحول إلى شخصيتين وهويتين في جسد واحد، ومثل لها هنا بشخصية ماري التي كانت تحلم أنها أختها ميندي وتحلم بحياتها وزوجها الغني، "لكن أي هوية خلقا لماري؟ أمها حولتها الى بغاء وطبيبها إلى زبونة يستطيع عبرها أن يقيم علاقة جنسية بأماها".¹

وما خرج فيه أن الإنسان يمكن أن يعيش شخصية أخرى غير شخصيته، وفي عوالمه الداخلية قد يتمنى عيش الأخر تاركا إرثه الشخصي في الحياة مفضلا إرث غيره، فتخلق شخصيتين شخصية حقيقية خارجة من الجسد الحقيقي وشخصية أخرى متطفلة عليه.

استطاع حسين أن يكتب عن الاحتلال ومدى تأثيره على الهوية في مقتطفات ولمحات، لينتقل من حالة تحليل ذاتية إلى حالة تحليل وطنية. في تعريجه على حالة الضفتين الشرقية والغربية وحلقة الوصل التي لا يمكن أن تنفصل عن أي انفصال ما وهو جسر الأردن "نهر الأردن خيط حرير يشق المكان إلى ضفتين الأولى لنا والأخر لنا".²

ليوضح لنا أن الإنسان المنفصم الشخصية لا يمكن أن يعيش بشخصية دون الأخرى، وأن لكل شخصية وقتها الذي تهرب فيه الشخصية الأولى للثانية، "لابد من ممر ما، خدعة ما، كي يتمكن القول إن الشخصيتين تسكنان معا في نفس الشخص رغم استقلالهما في جسم واحد، ومريض واحد، ومكان واحد".³

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 97.

2- المرجع نفسه، ص. 98.

3- المرجع نفسه.

ربط هذا بواقع الضفتين الشرقية والغربية، "يقع على الحد بين القدسين اليهودية والعربية".¹ فاليهود والعربي كلاهما عدوين في جسد واحد يبحثون عن هويتهم ومواقعهم، وهنا العلاقة علاقة صراع جوهري بين طاقتين الأولى باحثة عن هويتها والثانية الباحثة عن السيطرة و الاستيلاء وعن واقعة في جسد واحد.

ولم تأتي قصة الحجر جزافاً، أو لربما أراد حسين أن يشير لخبث اليهود في تزوير الحقائق بكتابة تاريخ بما يوافق معتقداتهم الدينية والفكرية والصهيونية، ذاك التاريخ حتى لو كان مزوراً، أقام لهم مغتصبة سميت بدولة إسرائيل على أرض فلسطين.

إن الطريقة التي تشكلت فيها هوية حسين البرغوثي وتاريخه وذاكرته، نتج منها موقف اتجاه الانفتاح على المجتمعات الأخرى والهويات المختلفة والانتماءات الثقافية المحدودة، حسين شخص يقدس ذاكرة الفرد الحي وتاريخه الذي عاصره بل ويعتبرها معضلة إذا قام الشخص بقوقعة ذاكرته في سبيل إرضاء الغير، فيدعو حسين إلى بناء حالة ذهنية جديدة حاضنة لكل هؤلاء الأفراد المزدوجو الشخصية.

سادسا: الموت

من المواضيع التي كانت لها حضور في الرواية الموت الطاعي وتشكله كتيمة يدفع إلى التعامل معه بوصفه نهاية لحياة ما، والمحطة الأخيرة التي يتوقف عندها قطار الحياة ذو الوجهة الواحدة، رحلة الذهاب بلا عودة، المحطة القابعة في حكم المجهول، يجعلنا نستشعر قيمة الحياة التي نحياها، ويكشف لنا طبيعة الحياة التي لا تقبل الإعادة.

أول حدث يطلعنا عليه حسين البرغوثي في مساره الروائي هو موت أخيه، "وكنت طفلاً مات لي أخ صغير وكانوا أيامها في ستينيات القرن الماضي، يدفنون الأطفال في أحد الكهوف الرومانية، ويدعونه الفستقية، اللون الفستقي للتراب، دفنوه في فستقية".²

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 157.

² - المرجع نفسه، ص. 19.

فتضارب في هذه الذاكرة الملونة مفاهيم تعبر عن أشياء بداخلنا، حينما سأل عن موت أخيه الصغير أين ذهب فأجبتة والدته "الأطفال لا يموتون بل يصبحون طيوراً خضراء في الجنة، تجري من تحتهم الأنهار، ولم أقتنع"¹لندرك بعد الكبر أن الطيور لا تعيش طويلاً وموطنها الأشجار وأسطح المنازل.

تستحيل كل الصراعات والحروب إلى تهديدات مباشرة للوجود الإنساني، تصنع مشاهد مأساوية يؤطرها الموت، "كثيرون في فلسطين ماتوا شنقا أو ذبحا أو سما أو برصاص أو قصف أو بطرق أخرى ومن ظل منا حيا تزوره الأجسام الذهنية لموتاه، وتشاركه في عشاءه، أنا يزورني شبح أبي وأخي، وصديق استحم قبل سنين وتعطر ومشط شعره، ليلا، وفي الصباح ذهب إلى مظاهرة ضد الاحتلال الإسرائيلي وقتل، ارتعبت، ليس من موته بل من كونه كان يحضر نفسه للموت."²

حالة التيه و اللاستقرار تعادل موتا محققا، وطن منذور بالموت يستحيل أن يبعث على الحياة بل سيمتص النزر القليل المتبقي منه في ظل عالم سوداوي متأزم، يتحول الموت إلى منظور خاص يفسر به الوجود الإنساني "في بلد يسيطر عليه الموت على الأحياء والماضي على المستقبل هذه هي سلطه الذاكرة."³

ويأتي مؤشر يتحول إلى حدث آخر، يتدخل الموت مرة أخرى ليحول مسار الأحداث، خبر وفاة والده " وهذا أيضا يسحقني عندما مات أبي في أواخر سبعينيات القرن الماضي بجلطة في الدماغ."⁴

شبح الموت ظل طيفا يلاحق حياة حسين ونجد أن موت أبيه تحول إلى كابوس يؤرق حياته وأخذ بعدين، من جهة تملكت حسين عقدة الذنب حين لم يتأثر بوفاة أبيه "دفعنتي

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق

² - المرجع نفسه، ص. 65.

³ - المرجع نفسه، ص. 65-66

⁴ - المرجع نفسه، ص. 89.

أمي من الخلف ولم أتحرك وقلت لنفسي لا أريد طعم الموت على شفتي ما دمت حيا يرزق، ثم مشيت بعيدا مات ولم أقبله حتى في نعشه وبدأت أشعر بذنب يشبه أغنيه بلوز.¹ ومن منظور آخر لم يبالي بموت والده واستعماله كورقة رابحة كي يستمر في حياته "وصرت أفر من نفسي ومن كلامي بعد موته بأشهر وجدتي في مدينة أخرى وقارة أخرى وزمن آخر."²

مند بدء إرسال الرسالات السماوية لبني إسرائيل ودعوتها إلى الحق وعبادة الإله الواحد، كان اليهود لا يعرفون إلا لغة القتل والدماء والتتكيل، ومن بين عمليات القتل والاغتيال التي تناولها حسين في روايته هي اغتيال الروائي الفلسطيني "غسان كنفاني" ومنهم تاجر ذهب من الطائفة المارونية، وموظف في وزارة الخارجية في طرابلس، وكاتب فلسطيني شهير يدعى غسان كنفاني وكان صديقا لأبي وهكذا.³ اغتالت المخابرات الإسرائيلية الأديب المناضل في بيروت بعد دقائق من خروجه كعادته من منزله في الحازمية إلى مركز عمله في مجلة الهدف وكانت برفقته ابنة أخته، حيث تطاير جسمه إلى شظايا، بعد أن قام عملاء إسرائيل بوضع قنبلة بلاستيكية ومعها خمسة كيلو غرامات من الديناميت في سيارته. "كانت المخابرات الإسرائيلية قد اغتالت غسان كنفاني، بسيارة مفخخة، وقالت أم مارون إنهم لملموا أشلاءه عن الشجر، ووجدوا ساعده على ظهر بناية وعليه ساعة يد لم تنزل تدق"⁴

إن موت كنفاني هو ثمرة نشاطه في حياته، إن هذا الاغتيال لا ينطبق على المسلحين فقط من القاعدة الذين يفقدون حياتهم، وإنما على الذين يرسلونهم أيضا، والذين يظهرهم بمظهر السياسيين والكتاب.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 90.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه، ص. 147.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 152 - 153.

يتلبس الموت بحوادث ومظاهر ويضحى التعبير عنه رمزياً بوصفه انهيار وانكساراً يرسم عالماً أفقه معتم وواقعه عدمي، كل تلك الدلالات التي تتداخل مع الموت يعيشها بطل الرواية حسين "شعرت برغب من الموت غرقاً، وأدركت أن الحانة كلها تطفو فوق البحر، كنت أتخلع." ¹ يمارس الموت رهبته فلا تجد ذات البرغوثي نفسها إلا وهي رهينة له وسط دوامة الانكسارات وتربص دائم للموت، لتصل إلى مرحلة التسليم أي العيش بجسد فارغ من كل شيء إلا من الذاكرة لا يوصل إلى شيء إنه جسد بلا روح موت ميتافيزيقي معنوي.

سابعاً: الحزن

يعرف الحزن أنه "أحد صور العاطفة والمشاعر الإنسانية وهو ضد الفرح والسرور فالحزن والفرح موجودان في الإنسان وهما فطريان." ² والحزن شيء فطري ينتاب كل البشر عندما تقابلهم متاعب هذه الحياة الدنيا ولا يستثني أحد من ذلك.

لقد حفل حسين البرغوثي بالعديد من صور الحزن التي تدل على نفسيته المرهقة والتي تعكس واقعه المعاب، "كنت أتخيل ذنباً أحياناً ولكن بدل أن أهجم نحو نيران الرعاة ليلاً وأستبيح ما أستبيح، كنت أتخيلني واقف في الغروب أمام شقق بعيد، على تلة وأعوي في حزني، الحزن ضعف ولو صرت به شبيهه إله يا أنكيديو." ³

إن مفهوم الحزن عند حسين البرغوثي تتحكم فيه الحالة المعنوية حين عبر عن حزنه لفقدان صديقه بري، هذا الحزن الذي ملأ نفسه وملأ الكون جعل حسين لا يخرج عن دائرة الحزن فحزنه عميق، وهذا واضح عندما ودع صديقه بري "خرجت في أتعس شعور

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 101.

² - عبد الله خاطر : الحزن والاكنتاب على ضوء الكتاب والسنة، المنتدى الإسلامي للطباعة والنشر، جامعة الرياض، السعودية،

1412 هـ ، ج 1 ، ط 1 ، ص 17.

³ حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع نفسه. ص 121.

مر بي في حياتي لم أرى بري أبدا بعدها لم أراه أبدا شعرت بفراغ كوني بضيق في المكان بأن كل مكان هنا مصيدة حاولت كل شيء لكي أنسى ولكن عبثا.¹

إن هذا الحزن العميق، قد لون سيرة البرغوثي وما هو مرد ذلك إلا للحالة المعنوية التي اعترت الشاعر، وجعلته ينظر لكل شيء بحزن فاختر عبارات توحى بالحزن (نفس الحزن فوق الإنساني في لوحته الخضراء، قبضت على حنجرتي بأصابع من حديد، ودمع، قلت بحزن، مد يده للوداع، ومددت يدي".

يبدو أن حسين مدرك لحقيقة تمازج الأشياء فالحياة يراها تقوم على امتزاج الأفراح بالأحزان، فهي ليست حزنا صرفا ولا فرحا محضا، بل هي تمازج الأشكال والألوان.

فأصبح يري في الحياة الجانبين "بحر من المشاعر الإيجابية كالأمل والفكاهة، وهناك بحر آخر مالح من الألم والخوف والندم والحزن والانتقام والحدس والمشاعر السلبية الأخرى بين بحر الإيجاب وبحر السلب برزخ."² فحتى وهو في قمة حزنه يدرك أن الحياة قائمة على تمازج الأشكال المختلفة بل المتناقضة، ويؤكد هذا مره أخرى حين يقول "هناك بحران سلبي وإيجابي وبينهما برزخ أعتقد أنه الحياد."³ فالحياة في نظر حسين مزيج من الأفراح والأحزان، وهما يتعاوران المرء ليكشف عن وجود الحياة المختلفة، حسين لم يكن حزنه يتوقف على حالته المعنوية فقط ولا على رؤيته المدركة لتمازج الألوان، بل كان حزنه يأتي مرة صرفا حسب حالته المعنوية ومره ممزوجا حسب رؤيته للحياة.

¹ حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 121

² - المرجع نفسه، ص. 172.

³ - المرجع نفسه، ص. 173.

إن حسين يعتريه الحزن أيضا بسبب غربته عن وطنه والغربة تكون سببا في أحزان الكاتب، فالأدباء حين كانوا يغادرون أوطانهم يحسون بالانكسار والحزن، "ولقروي فلسطيني مثلي لا يمكن فهم الغربة غربته عن العالم أو نفسه."¹

هنا يدرك الحقيقة المرة بأنه قابع في ديار الغربة يتجرع كأسها ويغرق في همومها، فيعبر عن مدى ضياعه وتمزق نفسه لهذا الضياع، حتى أنه أنكر ذاته ولم يعرفها وبهذا نجد أن حسين قد مثل ظاهرة الحزن في أعرق صورها "كنت أخرج من نوبة بكاء لأخرى."²

كل هذه النماذج تفيض بالحزن الذي يشمل الكاتب والأصدقاء والوطن والمستقبل والغربة، لكن حسين لم يستسلم لها بل حاول دائما التحرر والثأر منها، فيرى الفرح والحزن ممزوجين وهذا راجع لرؤيته الشاملة للحياة من حيث أنها تتمازج فيها الألوان لتظهر هنا المفارقة بينهم.

ثامنا: التخفي.

يعد التخفي من المواضيع التي تطرقت إليها رواية الضوء الأزرق حسين البرغوثي، كان الكاتب يفضل الاختفاء في مواضع كثيرة في الرواية وعدم المقابلة والمواجهة، ولأخذ مثال عن هذا "الشلة القديمة كلها كان اللقاء مملا جدا فتركتمهم وذهبت إلى الأستوديو."³

كان التخفي بالنسبة لحسين بمثابة حاجز يريد أن يمنع الآخرين وأن يستر محيطه، فلجأ إلى توظيف تقنية القناع في تصوير حياته فهو يريد تقمص أدوار أخرى بارتداء أقنعة مختلفة تخفي حقيقته وأن تكون ذاته صوتا غير مرئيا. يعد القناع رمزا للتعبير عن تجربة ما يعيشها حسين، وبالتالي فهو يريد إخفاء شخصيته بواسطة القناع، وقد استخدم الكثير من الشعراء والأدباء هذه التقنية للتعبير عن الأفكار السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى استدعاء الشخصيات التراثية.

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 2.

2- المرجع نفسه، ص. 133.

3- المرجع نفسه، ص. 175.

نالت الأقنعة من اهتمام الكاتب واستخدمها في سيرته اذ وجد فيها ملاذ للهروب من الصدمات التي تلقاها في حياته، ومصدرا يعبر بشكل غير مباشر عن ذاته ومكانا أمنا يستريح في أعماقه وخاصة في نهاية سيرته.

نجد أن حسين وظف البحر في سيرته لي طرح مواضيع خاصة أنشأتها طبيعة حياته، وهذه المعاني تبدو غير مستقرة، اذ مثل البحر قناعا مبهما لمشاعر مختلطة: الخوف، الوحدة، الغربة، التيه، قناعا لشخصية أخرى تسكنه وتصيبه بالفصام، تجعل البحر يسكنه، ويفكر في رغبات شريرة، "كل عالمي صار بحر أهوج لا سواحل له يسكنه قراصنة على ظهر السفن".¹

ويتبادلان الأدوار: هو حيث كان البحر طفلا والبحر طفل فيه هوج البحر و بحر فيه قلق الطفل، "كنت أرى البحر بعين الطفل دائما، ولا مرة جريت فيها أن أرى الطفل بعينون البحر".²

ومنذ طفولته كان يتسلل إليه تفكير ارتداء الأقنعة وإخفاء شخصيته فنجده يقول "صرت في كل عيد من أول الصباح، أتسلل للتسكع في الجبال، حتى يهبط الليل، كي لا أرى أحدا وأحلم إن صادفني الناس بطاقة إخفاء إن لبستها لا يراني أحد ولا يسمعي أحد لكنني أرى الجميع".³

وهو هنا يريد أن يجرد المكان من الحصار البشري ليصبح فارغا لأجله، وإن وجد ذلك الحصار فيريد إمكانية أن يرى ولكن لا يرى أبدا وثمة قناع آخر نجده في قول غوته " بنيت بيتي على العدم ولهذا فكل الكون لي".⁴

¹-حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 88.

²- المرجع نفسه، ص. 131.

³-المرجع نفسه، ص. 140.

⁴-المرجع نفسه، ص. 197.

وهو يفكر بزيادة القناع وتوسيع مواضعه ومدته بقوة فوق قوة، "وعلي زيادة القناع قوة بأن أطيل شعري أكثر، وأرتدي صندالا غير رسمي، وكل ما من شأنه أن يكون قشرة أخرى تبعد الناس عن مركزي، وروحي، ملابسي، شعري الطويل، تشردي، فظاظتي، وسيفكرون ما يأتي على بالهم فليكن، هذا نافع هذا قناع ثالث أعطني، أعطني، ماذا؟ قناعا ثالثا، من فضلك، قناعا آخر." ¹

حيث تتحول كل المظاهر المكشوفة للعيان إلى وسائل طارئة تعمل على تدعيم إخفاء جوهره.

ويأمل من تلك الأقنعة أن تريح قلبه وتؤنس وحدته "سأراكم على وجهي أكبر قدر ممكن من الأقنعة: وتحت هذا كله، سأصعد إلى الضوء الأزرق وحدي، ومن بعيد حتما بقلبي سأعرف طيرا أخرى تسري نحو مسراي ذاته، طيورا سأحبيها من بعيد، سأقتل في نفسي كل حزن يكسر روحي ويشكو من وحدة الرحلة وأرقص." ²

ويختتم سيرته بذكر قناع وصفه بخير الأقنعة، "أخفى الله وجه نبيه بنسيج عنكبوت بقناع ما ولم تدرك قريش أن خلف هذا النسيج وجهها هذا خير الأقنعة." ³

إذ كان ذلك القناع مصدر حماية الرسول صلى الله عليه وسلم، فكأنه يريد أن يسوغ لنفسه اتخاذ المزيد والمزيد من الأقنعة التي تنوعت ما بين قناع من الشخصيات والأقوال والأفعال.

تاسعا : الحرب

إن طبيعة الصراع بين الفلسطينيين واليهود والذي اشتد في العصر الحديث زاد حدة وعنفا وقسوة ونجح اليهود في هزيمة المسلمين وإقامة كيان لهم في فلسطين.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 197- 198.

² - المرجع نفسه، ص. 198.

³ - المرجع نفسه، ص. 199.

مثلت حرب فلسطين حضور قوي في رواية حسين البرغوثي، ذلك أن القضية الفلسطينية كان لها ارتباط كبير باسم هذا الكاتب.

يشير حسين في بداية الرواية إلى تطور الثقافة الفلسطينية في القرن العشرين بما سماه بإنارة الكاز الصفراء، "إلا بفهم انتقال الثقافة الفلسطينية في القرن العشرين نقلة ضوئية، من القمر السراج إلى الكهرباء، مثلا الى النيون... النيون أبيض".¹

رسم حسين صورة خاصة به عن فلسطين "أبي وأخي الصغير، دفنوا الأخير في كهف، فلسطين بلد الكهوف".² أصبح حسين يعاني ألما نفسيا حاد فالحرب الذي تبناها اليهود ضد شعبه قد جعلته يخسر أباه وأخاه.

رسم البرغوثي صورة أخرى للمحتل، تحيل إلى أنه ينظر إليه باعتباره سلطة قمعية احتلالية، يعتبر أن الآخر اليهودي العدو المتمثل في سلطة الاحتلال هو عبارة عن خطر يهدده ويهدد شعبه، "كان قضاء الليل في القدس كلها ممنوعا منعا باتا على كل فلسطيني مثلي من المناطق المحتلة دون تصريح عسكري".³

يصور حسين في مقطع آخر أن الآخر اليهودي أتى إلى أرض فلسطين ليسعى في خراب أرضه، محاولا بذلك إبراز أن العدو المستمر لم يترك فرصة لأبناء وطنه لتمتع بأرضه ورؤية البحر "وأحدق غريبا في البعيد نحو البحر الأبيض المتوسط لكنني لم أر البحر عن قرب أبدا، فقد احتلت إسرائيل السهل الساحلي كله قبل ولادتي، وسرقت مسالك الجبل إلى البحر".⁴

يشكو حسين في هذا المقطع غضب أرضه فاليهودي قد استحوذ على السهل الساحلي وترك في قلب الكاتب الحزن والحسرة على ضياع البحر والأرض.

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 20. -

2- المرجع نفسه، ص. 64.

3- المرجع نفسه، ص. 159.

4- المرجع نفسه، ص. 81.

يتابع حسين تصوير الأعداء اليهود بأنهم يكرهون العرب ويحقدون عليهم ويحاولون دائما إلغاء الكيان العربي ونعته بالهمجي، "وقال عندما عرف أنني عربي أن العرب ليسوا من أفريقيا وأنهم مستعمرون غزوها واستوطنوا في شمالها، والحل أن يخرجوا من القارة."¹ فحقد اليهود على شعب فلسطين والعرب عميق في قلوبهم ومتأصل فيها "يتحدثون همسا عن الفلسطيني ويشيرون إلي ويتغامزون هذا لقب لم أسمع به من قبل أغرب لقب سمعته."²

لم يعد يقوى حسين على الصبر والاحتمال فصبره قد استنزف، ويعبر في هذه الصورة عن الوجد النفسي الذي وقع حسين أسيرا له نتيجة ما يزرعه اليهود "أنا الوحيد الذي كان يشعر بأن لا اسم له لا هو عبقرى، ولا فرخ أهبل، ولا أطرش ولا فلسطيني، ولا أي شيء."³

التشتت النفسي الذي أصبح يحياه حسين بسبب الآخر اليهودي قد جعله مضطهد مثل شعبه، فقد أضحى يضيق الخناق عليه وعلى شعبه "لا توجد في فلسطين مدن عربية تستحق اسمها والنتيجة أنه لا توجد عندنا نساء بل بنات ولا يوجد رجال بل أولاد في قرانا ومدننا الناس متشابهون إلى حد الكابوس."⁴ قد أصبحت أيام الفلسطينيين داكنة وحالكة لا طعم لها.

تتجلى صورة أخرى كذلك في صورة الأمريكي خاصة السلطة الأمريكية، باعتبارها من مد يد العون لليهود وتحاول دائما تعزيز وجودهم في فلسطين، "وتذكرت كيف تقوم وكالة الغوث الدولية بتوزيع المئوّن على اللاجئين الفلسطينيين في أكياس مكتوب عليها تبرع من الولايات المتحدة، هذا سحر يشعر الإنسان بأنه بلا كرامة

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 20.

² -المرجع نفسه، ص. 150.

³ -المرجع نفسه، ص. 153 - 154.

⁴ -المرجع نفسه، ص. 67.

بالضعف وتحت رحمة التبرعات من الإمبراطورية.¹ فأمریکا تحاول دائما تعزيز الوجود الصهيوني في فلسطين حتى تفرض ثقافتها ونمط حياتها، ثم تعكف على مد يد العون لتظهر للعالم بصورة أخرى في مثل هذه الممارسات الدنيئة.

يمكن القول ان حسين قد عمد الحديث عن احتلال فلسطين وتصوير المحتل، وقد كانت هذه الصور سلبية ونمطية تعددت مضامينها ودلالاتها من خلال مختلف التجارب التي مر بها حسين، إلا أنه يجدر الإشارة بقوة اليهود الاستعمارية التي ساعدت لطمس معالم الفلسطينيين، العدو يتمتع بالقوة العسكرية ويملك جميع الوسائل القمعية التي سخرها وجلدها لخدمه مصالحه في مقابل بعثت مصالح الشعب الفلسطيني.

لم تكن المسألة الأساسية التي سيطرت على رواية حسين البرغوثي هي الصراع الفلسطيني الإسرائيلي فقط، فمن بين أهم الأزمات أو النزاعات التي عرفتها الرواية هي الأزمة اللبنانية، اذ يمثل تاريخ لبنان مسرحا للحروب الأهلية والنزاعات قبل الاستقلال وبعده "بلد لا يستطيع العيش دون حروب أهلية كل عدة سنوات".²

ولقد كان هناك توجيهين حول أسباب هذه الحرب لدى البرغوثي، اذ يرد التوجه الأول إلى أسباب داخلية تتمثل أساسا في الطبيعة المذهبية والطائفية للنظام والمجتمع اللبناني، "ما أريد قوله هو أن سببا من أسباب هذه الحروب الدامية كان الكلمات، كل طائفة لها اسم أو لقب وكل طائفة تكره أي لقب أطلقتها هي على غيرها أو أطلقتها طوائف أخرى عليها ولكل طائفة كلماتها وطريقة لفظها للكلمات".³ في حين يعتبر التوجه الثاني أن الحرب في لبنان لم تكن إلا حرب الآخرين على أرض لبنان فأسباب الحرب هي خارجية بالأساس، "ففي أواخر خمسينيات القرن الماضي تدخلت قوة المارينز الأمريكية في

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 119.

2- المرجع نفسه، ص. 151.

3- المرجع نفسه، ص. 153.

الحرب الأهلية في لبنان ورحلوني أنا وأمي وأبي من بيروت على ظهر طائرة كرايا أجنب.¹

ومع مرور الوقت أصبح من الصعب حصر أسباب الحرب الأهلية اللبنانية، بما هو داخلي أو خارجي فقط، ذلك أن الأسباب الداخلية والخارجية قد تشابكت فيما بينها واختلطت حتى نشأت علاقة سببية في الاتجاهين معا، "وتغرق بيروت في الزبد والزرقة المتلاطمة والهدير شارعا شارعا أبنية تهوي، وأخشاب تطفو وغرقى، وفي وسط هذا الدمار وحش هائل الحجم."²

أي أن حرب لبنان الأهلية خلفت أعداد كبيرة من الضحايا وتركت ورائها آثار سيئة في نفسية حسين البرغوثي وجعلته في حالة فقدان الإدراك بنفسه " وصلت الحالة في 1985 حد أخذ حبوب منومة وأدوية لتهدئة الأعصاب."³

وأجد أن له ذكريات قوامها الخوف وعدم الاطمئنان في بيروت " زاد من خوفي ما كنت سمعته من إشاعات عن عصابات لسرقة الأطفال، مثلا عن امرأة تلبس خمارا في باص على الحدود السورية، اللبنانية، صيف، حر شديد، وعرق على الوجوه، وفي حضنها طفل ملفوف برداء، قال لها الشرطي أن تكشف عن وجهه لئلا يختنق من الحر، ولم تكشف فشك في أمرها وأزاح الغطاء فوجد طفلا صغيرا ميتا شق المهربون بطنه وحشوه بالحشيش وخيطوه."⁴

أشار حسين البرغوثي إلى الدمار الذي حل بمدينة بيروت بسبب الاشتباكات والحروب، حتى أنه لم يعد يتعرف على شوارعها " في شوارع كنت مشيتها ألف مرة سابقا ولكنها الآن بدت غريبة تماما ولا أعرفها."⁵ كما شبه القوانين التي وضعها الاحتلال للسيطرة

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 83.

² - المرجع نفسه، ص. 45.

³ - المرجع نفسه، ص. 12.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 11.

⁵ - المرجع نفسه.

على الشعب بحالة المشي أثناء النوم (السرمنة) " عادة ما أستيقظ من هذه الحالة التي تشبه التنويم المغناطيسي أو السرمنة عند رؤية شيء معين أعرفه تماما¹ ".
ولعل عشق حسين لبيروت كان بسبب البحر الأمر الذي يجعلني أصنف علاقته به لركونه في تفتيت جوانبه، بأنها علاقة حميمية تشير حتما إلى ناحية هامة يدركها حسين وأصحاب الفكر.

في الحروب الأهلية لا ينتصر أحد، كل من يدخل يخسر حتى يقرر الجميع أنهم تعبوا من كثرة الخسارة، حرب لبنان استمرت عدة سنوات ثم انتهت بلا شيء حرب عبثية بلا منتصر وبلا مكاسب، والمتضرر الوحيد من هذه الحروب هو الإنسان بمختلف الأزمان التي يتعرض لها.

عاشرا: الحضارة

ياخذنا حسين معه في رحلة الحديث عن الحضارة والحضارات على اختلاف مشاريعها تشترك في إنسانيتها، فالإنسان هو أصلها بمعنى أنها صناعة الإنسان وإبداعه، إن الحضارة بكل بساطة هي بدل الجهود لتحقيق التقدم من أي نوع كان.
ومن بين أهم الحضارات التي تناولها حسين في روايته هي الحضارة الأمريكية، لأمريكا وجهها المادي الذي يكشف عن روحها، والإطار المادي للمدينة العصرية يختلف كثيرا عن القرية، فالجدران العالية والأبنية الشاهقة والوسائل الألية والأعداد الغفيرة التي تعيش بها، كل هذه الظواهر ميزة المدينة العصرية وهي عوامل حاسمة في تشكيل حساسية الناس ومشاعرهم. "أشرت إلى ناظحات السحاب المضيئة في البعيد قرب الميناء، إلى هذه الهندسة المجردة الشاهقة التي تقف كمعجزة باردة لا مبالية، تحاول زيادة المسافة

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق. ص 11

بينها وبين أقرب بناء مجاور إلى أقصى حد ممكن، فتتسلق السماء لتوحي بقوة البنوك والشركات المتعددة الجنسية، الصياغة الأسمى للروح البروتستانتية.¹

بالإضافة إلى مظهر الزجاج والحجر الذي يسود أمريكا، فإن أهلها دائما على سفر وهم دائما منشغلون مع أنفسهم بشيء، لذلك نجدهم صامتين، غالبا ما يكلم الواحد منهم الآخر "وصلنا أخيرا إلى بيت من النمط الأمريكي: مدخل من درجات خشب مهترئة تفضي إلى زجاج."²

أحس حسين بالوحدة في أمريكا رغم زحمتها، إن شعور حسين بالوحدة هنا ليس مجرد أثر لانقطاع علاقاته، وإنما انعكاس كذلك لوجه الحياة هناك، وينبع هذا الشعور بالوحدة ويلزمه الضياع. فالبرغوثي في هذه المدينة وحيد ومضيع ذاته يفقد اسمه في زحمة الأسماء أو يفقد وجوده في هذا الوجود الفخم "كنت متوترا، منهكا، مخلوقا، من شدة التدخين وشرب القهوة الأمريكية التي تجعل ونبضات القلب تشبه شاشة تلفزيون مشوشة، بلا أي انتظام في دقات إلكتروناتها، قلت إنني سأخرج للتسكع في الغابة حول الجامعة وقد أعود غدا في الليل."³

تحدث حسين عن النمط المعيشي في أمريكا من خلال كلامه على السكن الجماعي الذي يسكن فيه بري معا مجموعة من المراهقون المنحطون الشخصية والأخلاق، بسلوكهم وتقاليدهم الأعمى لبعضهم البعض سعيا منهم للاختلاف، فتحدث عن السلوكات الغربية مثل (شرب البيرة، الصياح، وتقليد حركة البنكس في تصفيف الشعر أي نصف الشعر حليق والنصف الآخر مصبوغ بلون ناري وأزرق، لباس البالي الإغراء.)

1- حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 61.

2- المرجع نفسه، ص. 62.

3- المرجع نفسه، ص. 68.

"قالت لي سوزان عندما تعرفت عليها لأول مرة أهلا بك في نظرية الرقم واحد وما هي نظرية الرقم واحد ضحكت وقالت أولا أنا وثانيا أنا وثالثا أنا وعاشرا إلا ما نهاية."¹

أحس حسين أن الوشائج الإنسانية والاجتماعية التي تربط الناس هنا ببعضها متقطعة، وأن نغمته لا تغير من الواقع شيئا، بل هو ينسحق فيها وحيدا ويصبح واحدا كالآخرين له مشاغله، وهمومه "تذكرت فتاة منفصمة الشخصية قالت لي عن الولايات المتحدة، هنا تستطيع أن تذهب إلى جهنم ولكن وحدك، وتذهب فعلا ولا أحد يهتم"².

فالصغير، والكبير، والمغمور، سواء في هذه الزحمة المنهمرة، وكلهم خاضع لنفس التجربة، إن مشاعر الوحدة، والضياع، والغربة، هي الانعكاسات لتجربة الحياة في المدينة على الفرد. "أحب هذه الثقافة الأمريكية يا رجل لكنها أكثر ثقافة وحيدة في العالم، الأمريكيان يرتعبون من الوحدة."³

أكد حسين أن الحضارة الأمريكية بلا تاريخ وأنها اختلقت لنفسها مكانه تلائم معتقداتها وكونت لنفسها تاريخ، محاولة منها فرض نفسها "الحضارة الأمريكية البيضاء مثل جوني، بلا تاريخ يذكر، خفيفة، التاريخ في البحر المتوسط عميق وثقيل في أمريكا سطحي، وإلى حد ما ضحل."⁴

ولم تكن الحضارة الأمريكية وحدها المطروقة في رواية حسين، فنجد أيضا حديثه عن إعجابه بالحضارة الصينية، شكلت الثقافة الصينية عبر المراحل التاريخية إحدى أهم الثقافات، كان يسودها أسلوب حياة متميز وتراكم فكري وفني ومعرفي وتقني وروحي، مهد لها لأن تكون واحدة من كبرى الحضارات التي كانت تثري الحياة البشرية. وقد أبدع الشعب الصيني في هذه الثقافة العريقة في مختلف صنوف العلم والمعرفة والفن بكل

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 67.

² - المرجع نفسه، ص 68.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 25.

أشكاه "هذه الثقافة الصينية تبحث منذ خمسة آلاف عام عن توازنها هذا هرم يأتي من التاريخ¹."

عبر حسين عن إعجابه بالثقافة الصينية "منذ سنين وأنا أحلم أن أترك كل شيء في حياتي وأذهب إلى دير في الصين وأتعلم الكونغ فو ولا أخرج من هناك أبد."²

حسين البرغوثي أكثر الكتاب العرب المتأثرين بالمذاهب الصوفية والأسبوية عموماً، وهذا الأمر شديد الوضوح في مذكرة الضوء الأزرق، فنظرته للزمن من حيث هو نقاط متفرقة كمنقش على ثوب وليس كخط مستقيم، وكذلك رفضه لفكرة الحكومة وفكره إفراغ الذهن من محتواه هي من صميم الثقافة الصينية، والبرغوثي يعبر عن إفراغ الدين في حوار مع بري، يروي أن فقيراً ذهب إلى راهب بحثاً عن التنوير فأخذ يروي له ماضيه وذكرياته ومساوئه التي تنغص عليه شعوره، وبينما الفقير يتكلم والراهب يصب الشاي في فنجان حتى طفح منه "طفح الشاي من الفنجان، لماذا تواصل الصب فيه" فرد عليه "ذهنك يشبه هذا الفنجان مليء، أفرغه مما فيه، كي أصب لك شيئاً جديداً."³

هذه القصة كانت كفيلة بتحويل حسين إلى منصت أكثر منه متكلم، على أمل أن يفرغ بري ذهن حسين من محتواه لأن مشكلة البرغوثي البارزة، أنه كان يحيا داخل رأسه حسب تعبير صديقه سوزان. فيدعو بري حسين لضرورة إفراغ فنجانه وجعل ذهنه صافياً كبركة ماء غير عاكرة لا يمكن تمييز بين سطحها وقعرها، إذ لا يمكن لأي فيلسوف أو مفكر النظر إلى مسائل مثل طبيعة العقل البشري أن يتجاهل البصيرة العميقة لحكماء الثقافة الصينية. إفراغ الذهن من الفكر يقود القلب إلى السكينة " هذا يدعى إفراغ الذهن من محتواه."⁴

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 102.

² - المرجع نفسه، ص. 13.

³ - المرجع سابق، 106.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 107.

وهذا ما مثله بفيلم عن راهب يسلم شاب نصف ميدالية ويخبره عن الذهاب إلى الصين، والبحث عن النصف الآخر ليكتشف بعد الذهاب أن العنوان خاطئ وتقوم عصابة بالترصد له، ويكتشف أنه النصف الآخر لهذه الميدالية "معك أنت النصف الميدالية الآخر أنت هو الوحيد الذي يستطيع أن تعلمك أكثر مني".¹

تحمل سيرة البرغوثي نصوص لها أبعاد فلسفية مركبة ومعقدة وغامضة إلى حد بعيد، يجعلها نصوصا تستعصي على التفكير وإن كانت قابلة بمساحات واسعة للتأويل خاصة، وهي عادة ما تقيم علاقة ذهنية مثيرة وعجائبية ما بين مفهوم العقل والقلب، تتداخل فيها الرموز مع التراث إلى جوار الفلسفة والتخييل، في نسيج لغوي متحرك ما بين الشعر والنثر والرواية والسيرة.

¹ - حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق ، ص. 103.

خلاصة

إن أول ما يصادفنا في هذه السيرة هو العنوان الملفت "الضوء الأزرق"، الممتلئ بالمعاني التي تفتح التوقعات أمام القارئ، فالضوء يوحى بالنور والإثارة والإضاءة التي توضح رؤية الأشياء التي حولنا، وهو الأمل الذي ينتظره الإنسان ويتمناه ويسعى من أجل تحقيقه، أما الأزرق فهو لون يحمل لكل إنسان معايير مختلفة وملتصقة بأصحابها، وهو لون هادئ مريح للنظر فالله سبحانه وتعالى اختاره للسماء والبحر ورغم هذا الانفتاح في السماء والبحر، فإن فيهما من الغموض الشيء الكبير، فعندما ننظر إلى السماء الزرقاء في النهار نرى انفتاحاً لا نهائياً وتختلف النظرة إليه في الليل عندما يختفي اللون الأزرق وتترشح السماء بالنجوم، وكذلك البحر بزرقه سطحه وتكون أعماقه الأزرق يرسل موجات مريحة وهادئة، أما في القاموس الذاتي للإنسان يرى أن الأزرق لون يذكره بالبحر والسماء، أما ما يعنيه الأزرق لحسين البرغوثي فهو منافي تماماً، فهو طاقة الشر، الحزن، والسلبية، فيقول "الأزرق لون النفس الأمانة بالسوء، نفسي كانت تأمرني ليس فقط بالسوء بل حتى بالجريمة، كنت أخشى من أن تنفصم شخصيتي وتقوم إحدى الشخصيتين باقتراح جريمة لا تعرف عنها الشخصية الأخرى".¹

ويبدو أن حسين البرغوثي أراد أن يستفيد من هذا اللون، فعمد إلى الضوء الأزرق الذي شغله معظم الوقت في الوصول إلى تفسير له ولكن دون فائدة، فبدأ بالحديث عن ذاكرة الألوان في داخله، فقد شكل اللون الأزرق هاجساً كبيراً في حياته، منذ طفولته في الرواية، فزرققة البحر وجبال الطفولة الزرقاء وحانة القمر الأزرق في صياغة وكذلك الأفكار والقصص التي ذكرها في سيرته، كلها تبين سر الضوء الأزرق في ذات حسين البرغوثي، ومن هنا أتساءل فيما إن كان حسين البرغوثي قد أراد الانقلاب إلى الأنا العليا، نتيجة إصابته بجنون العظمة ليصبح الكون والرواية كله معاني ودلالات بلا

¹ -حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 24.

حدود لضوئه الأزرق، وعليه أستطيع القول بأنه كان موفقا بدرجة عالية بهذا العنوان بوصفه دلالة مستقلة، وكذلك بوصفه ألوان متجهة إلى العمل نفسه من منظور فلسفته الخاصة، وتوضيحه سر اهتمامه باللون الأزرق الذي رافقه منذ الطفولة، وشغف الكاتب باللون الأزرق دفعه للبحث عن معناه في الأساطير والحكايات القديمة والمواضيع المتناولة في الرواية، ما أكد لي أنه هو واللون الأزرق عملتان لقناع ووجه واحد.

خاتمة

- بعد إتمامي لهذا البحث المتواضع " رواية الضوء الأزرق لحسين البرغوثي دراسة موضوعاتية " توصلت إلى النتائج التالية:
- المنهج الموضوعاتي هو الأنسب لدراسة هذه الرواية، لأن مهمته هي استقراء المواضيع الموجودة في العمل الأدبي المدروس، وهذه الرواية حافلة بالمواضيع.
- لم يلتفت حسين للتسلسل الزمني في السيرة، فاختلطت الأحداث مع بعضها وأرى أن هذا يحقق للسيرة واقعيته.
- كانت سيرة حسين البرغوثي مشحونة بالمعاناة، تطرق الكاتب فيها لموضوعات متنوعة عاشها ما بين حياته في فلسطين وفي لبنان وأمريكا، وكان للمشكلات العنصرية والسياسية والنفسية نصيب وافر من هذه السيرة.
- يدرك القارئ لهذه السيرة صعوبة الهجرة القسرية والعيش في مكان بلا انتماء، ويلمس الضياع الذي كان يعايشه الكاتب في مراحل حياته، والأهم من ذلك الصدق الفني إذ عرى الكاتب ذاته لينتج لنا منتجا يغري بالقراءة، مع ضخه للعديد من المعلومات والخبرات، لنكون أمام نص متنوع الثراء، وليس نص محصورا في أحداث وملابسات فقط.
- ذكر الكاتب كل ما يجمعه باللون الأزرق، ووظف العنوان كرمز يخدم تلك الأشياء ليعبر عما أراده وفق تصوره حول نفسه والكون والحياة.
- حاول الكاتب إظهار ثقافته الواسعة والاستفادة من النصوص في إثراء النص ومنحه دلالات واسعة، وإعطائه بعدا واسع الأفق، بسبب تلك التعددية التي انصهرت في النص وساهمت في بنائه.
- كانت هذه السيرة قريبة من الرواية، زاخرة بالرؤى والتصورات والتأملات والمقولات التي تنبئ عن حكمة وجمال لغوي ولم تكن مجرد أحداث.

- حاول حسين في روايته أن يوصل فكرة أن جنة التهميش في الغرب أرحم من جحيم الانتماء للأصل.
- صور البرغوثي مواضيع عديدة كالموت والهوية والقضية الفلسطينية والغربة والاعتقال.
- رواية حسين البرغوثي تتأرجح بين مجتمعين وثقافتين الثقافة العربية تقابلها الأخرى الغربية.
- حسين البرغوثي روائي معاصر تناول حياته بهدف إيضاح معاناة العرب في المجتمعات الغربية واستصغار شأنهم ونهب حقوقهم.
- استعمل الكاتب تقنية الوصف وهذا ما لاحظته من خلال وصف دقيق لشخصيات الرواية والأماكن، كما استعمل تقنية القناع والتخفي.
- خاتمة وقد سعيت للإلمام بما اقتدرت عليه من أهم جوانب الموضوعاتية، فهو مجال واسع لا يختصر في صفحات، وأرفقت ذلك بتناول ودراسة الرواية بنظرة موضوعاتية من خلال إخراج مواضيع الرواية وشرحها، على أمل أن أكون وفقت في الإفادة والاستفادة ساعية لتكليل هذا العمل بالنجاح وعساه عملا يستحق مجهوده المبذول.

الملحق

المخلص:

في البداية أشير إلى أن هذه الرواية وبإجمال النقاد تعتبر من أجمل إنجازات النثر في الأدب الفلسطيني.

من أنا؟ من هو الآخر؟ ما هي هويتي؟ هل هويتي حقيقية؟ كيف أعرف؟ كيف أفكر؟ هل هناك قوقعة تحاصرنا؟ هل نستطيع كسر هذه القوقعة والخروج منها ومن قيودها؟ لكن كيف؟

من هذه الأسئلة التي تحوم حول حسين في وسط أثير هذا الكون وفي فضاءه، ولا يكاد يلتقطها إلا وتكون قد أفلتت منه، محاولاً لملمتها وتشكيلها بما يناسب كل فرد، إلا أنها تفر هاربة ظانّة أنه غير مستعد لها، ومن هذه النقطة بالذات انطلق حسين البرغوثي، من بين كل هذه العشوائيات المنتظمة، الظاهرة و الغامضة، المزيفة منها والحقيقية، انطلق ليحلق بنا هناك في نقطة بعيدة وقريبة جداً عن هنا، ليحدثنا عن الضوء الأزرق عن حياته، عن تجربته، وعن سيرته الأشبه بحلبة مصارعة بالفعل، حياتنا جميعاً عبارة عن حلبة، لكن ما أظهره حسين حلبة فريدة وغريبة بدستورها، ممزوجة بالعقلانية والجنون، بالحواف والوسط، بالظاهر والباطن بالأوهام والحقيقة، بالهوامش والمحتوى.

بعدما علم حسين بمرضه قرر أن يكتب الضوء الأزرق، ليشع فكرةً ويخرجها من ظلمات الأسرار إلى نور الحياة.

يأخذنا حسين معه برحلة بحثه عن ذاته رابطاً الذات بذاكرتها وتجاربيها وتاريخها وما يطلق عليها من مسميات الهوية، يظهر لنا حسين ويقول عن كيفية تشكيل قواميسنا الخاصة، بعيداً عن أي شوائب تضرها، قواميس خارجة عن الخط المرسوم، مكونة خطوط جديدة تناسبها وتعبر عنها، بألوان تخصصها، خارجة عن خط الرأسمالية وما نتج عنها من تغيرات مادية وروحية وخارجة عن التبعية للآخر، والاكتفاء بالأنا، أو بالأحرى كسر هذه العلاقة الناتجة عن وعي مزيف، فليس بالضرورة ليجد هو حيث يكون هناك آخراً، ثم يبين لنا أنواع الهويات وكيفية

تشكيلها بناء على الذاكرة والتاريخ والمسميات، أراد حسين أن يوصل لنا أهمية بل وضرورة خلق وإعادة بناء الهوية، هوية ثابتة راسخة في ظل التشرذم الحالي والضياع، وأن يعيد صياغة ذهننا ووضع هدف له، ويؤكد على أنه لكل شخص أو حضارة ما يميزها، ليس من الضروري أن يكون تابع لغيره، هنا فقط وأثناء فهمنا لنفسنا نولد ولادة حقيقية، يدعو حسين البرغوثي إلى بناء حالة ذهنية جديدة حاضنة لكل هؤلاء الأفراد "المزدوجو" الهوية، وكسر النماذج التي تتخر هويات شبابنا والتي تختزل معناها بتعصب هوياتي، لعل في يوم من الأيام يصل الإنسان إلى ذواته التي تنتظره منذ الأزل.

الكلمات المفتاحية: الضوء الأزرق، الهوية، الحضارة.

In the beginning, it should be noted that this novel, according to critics, is considered one of the finest achievements of prose in Palestinian literature. It delves into questions such as: Who am I? Who is the Other? What is my identity? Is my identity real? How do I know? How do I think? Are we trapped in a bubble? Can we break free from this bubble and its constraints? But how? These are the questions that revolve around Hussein in the midst of the atmosphere of this universe and its space, which he can barely grasp before they slip away from him, trying to gather and shape them to fit each individual. However, they escape, thinking that he is not ready for them. It is from this very point that Hussein Barghouti sets off, among all these organized, apparent, mysterious, fake, and real randomness, to soar with us to a distant and very close point from here, to talk to us about the blue light, his life, his experience, and his story, which is akin to a wrestling arena. Our lives are all a ring, but what Hussein reveals is a unique and strange arena with its own constitution, mixed with rationality and madness, with edges and the middle, with the apparent and the hidden, with illusions and reality, with margins and content. After learning about his illness, Hussein decides to write "The Blue Light" to illuminate an idea and bring it out from the darkness of secrets into the light of life. Hussein takes us on a journey of self-discovery, connecting the self with its memory, experiences, and history, and all the designations of identity. Hussein shows us how to shape our own dictionaries, free from any impurities that harm them, dictionaries that go beyond the drawn lines, forming new lines that suit and express us, with colors that belong to us, outside the realm of capitalism and the material and spiritual changes it has brought about, and beyond subordination to the Other, and sufficing with the self. Or rather, breaking this relationship resulting from a false consciousness, as it is not necessary for there to be an Other where there is another person. Then he explains the types of identities and how they are shaped based on memory, history, and designations. Hussein wanted to convey to us the importance, and even the necessity, of creating and rebuilding identity, a solid and rooted identity, in the current fragmentation and loss, and to redefine our minds and set a goal for them. He emphasizes that every person or civilization has something that distinguishes them; it is not necessary to be dependent on others. It is only here, and while understanding ourselves, that we are truly born. Hussein Barghouti calls for building a new

mental state that embraces all these "dual" identities and breaking the models that erode the identities of our youth, which reduce their meaning to a narrow-minded bias. Perhaps one day, humans will reach the selves that have been waiting for them since eternity. Keywords: The Blue Light, identity, civilization.

نبذة عن حسين البرغوثي:

1- التعريف بالكاتب حسين جميل البرغوثي: (1954 - 2002).

ولد الشاعر والمفكر الراحل حسين البرغوثي في قرية كوبر شمال غرب مدينة رام الله، في الخامس من أيار عام 1954، وقد أمضى سني طفولته بين مسقط رأسه كوبر حيث أقامت والدته، وبيروت حيث هو عمل والده، إثر تخرجه من الثانوية العامة التحق ببرنامج العلوم السياسية واقتصاديات الدولة في جامعة بودابست للعلوم الاقتصادية في هنغاريا، وفي العام 1979 مثل فلسطين في أكاديمية الكتابة الإبداعية في جامعه أيوا (iwp) في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد عودته إلى فلسطين تخرج من جامعة بيرزيت وحصل منها على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي العام 1983، وقد عمل معيدا لسنة واحدة في جامعة بيرزيت قبل توجهه إلى الولايات المتحدة حيث حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب المقارن بين الأعوام 1985 - 1992 من جامعه واشنطن في سياتل، عاد إلى فلسطين ليعمل أستاذا للفلسفة والدراسات الثقافية في جامعة بيرزيت حتى العام 1997، وأستاذا للنقد الأدبي والمسرح في جامعة القدس حتى العام 2000، وأثناء هذه الفترة كان عضوا مؤسسا لبيت العشر الفلسطيني وعضو للهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب الفلسطينيين ورئيسا لتحرير مجلة أوغاريت ومديرا لتحرير مجلة الشعراء حتى راحيله في الأول من أيار 2002، حيث توفي في مسقط رأسه كوبر اثر مرض بالسرطان استمر عده سنوات.

وقد صدر للبرغوثي ما يزيد عن ستة عشر عملا توزعت بين الشعر والرواية والسيرة والنقد والكتابة الفلكلورية، إضافة إلى العشرات من الأبحاث والدراسات الفكرية والنقدية بعدة لغات وفي العديد من الكتب والمجلات والصحف، وفي سياق آخر فقد وضع البرغوثي سيناريوهات لأربع أفلام سينمائية وكتب نحو سبع مسرحيات لفرق محلية وعالمية، إضافة إلى كتابة العديد من الأغاني لفرق موسيقية مختلفة مثل صابرين والرحالة وسنابل وفرقة إحياء بلدنا، وقد تم إنجاز

غير ملف نشر في الدوريات الفلسطينية بالإضافة إلى عدد من الأفلام التسجيلية والأعمال المسرحية التي رصدت تجربة الراحل حسين البرغوثي، إضافة لنشر عدد من أعماله عربيا كما أقيمت عدد من الندوات العربية والعالمية التي تناولت تجربة الراحل في سياق ترجمة عدد من أعماله للإنجليزية والفرنسية¹.

2- أعماله:

*أعماله الأدبية والفكرية:

1-الأعمال الشعرية الكاملة: المركز الثقافي الفلسطيني، بيت الشعر، رام الله، فلسطين، 2008.

2- سأكون بين اللوز، سيرة، نشر بعد وفاته وكان قد نشر في مجلة قبل وفاته العام 2002 في مجلة الكرمل الفلسطينية التي يحررها محمود درويش. نشر الكتاب بالعربية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وبالفرنسية عن دار اکت سود سندباد، في باريس ترجمة ماريان فايس، 2006.

3- الفراغ الذي رأى التفاصيل نص صدر عن بيت الشعر الفلسطيني، 2005.

4- حجر الورد نص ما بعد حدائي، إصدار عائلة المؤلف مطبعة أبو غوش، 2004.

5-ديوان ما قالته العجربة مختارات شعرية إصدار بيت الشعر الفلسطيني المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999.

¹ - حسين البرغوثي: الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص 201، 202.

6- ديوان الرؤيا، شعر، إصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1988.

***سينما:**

1- حريتي المفقودة، فيلم وثائقي قام بوضع المفهوم والدراما، الفيلم من إخراج عيسى فريج، 2006.

2- الغرباء في فيلم وثائقي، قام بوضع السرد والدراما الفيلم من إخراج وائل أبو دقة، 2007.

***نصوص للمسرح:**

1- وجوه، مسرح القصة، القدس، 2007.

2- حفلة على غفلة، مسرح الحكواتي، باريس، إخراج فرانسوا أبو سالم، 2001.

3- روميو وجولييت، ترجمة وإعداد، 2003.

***أغنيات:**

كتب الشاعر والمفكر الراحل عددا من الأغنيات لفرق موسيقية مختلفة مثل فرقة صابرين: ألبوم جاي الحمام، موت النبي وغيرها، كما كتب أغنيات لفرق الرحالة وسنابل وأحياء بلدنا وتعد أغنية رصيف المدينة أولى الأغنيات التي كتبها وغناها أنداك الفنان الفلسطيني جميل السائح كما غنت فرقة تراب الفلسطينية عدد من أغنياته بعد رحيله¹.

¹- ينظر: حسين البرغوثي، الضوء الأزرق، المرجع السابق، ص 205، 202.

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر

1- حسين جميل البرغوثي: الضوء الأزرق، سيرة، بيت المقدس للنشر والتوزيع بالتعاون مع المركز الثقافي الفلسطيني، القدس، ج 1، ط 1، 2001.

ثانياً: المراجع

أ_ بالعربية

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، والتوزيع، الإسكندرية، ج1، 1999.

2- أحمد عثمان رحمانى: نظريات نقدية وتطبيقاتها: مج 1، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط2004، 1.

3- أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، الدار العربية للعلوم الناشر، لبنان، ط 1، 2007م.

4- أرسطو طاليس: منطق أرسطو، تح عبد الرحمن بدوي، ج1، مكتبة المطبوعات دار القلم، بيروت، ط 1، 1980.

5- أنطونيو بطرس: الأدب، تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب العرب، طرابلس، لبنان، د ط، 2005.

6- حسين جميل البرغوثي: سأكون بين اللوز، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ج1، ط1، 2004.

7- حميد الحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، أنفو برانت، نحاس، المغرب ط 3، 2014.

8- دومنيك مونقانو: المصطلحات والمفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحيياوش منشورات الإختلاف، ط 9، 2005.

9- ذانييل برجيز: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة الكويت، د ط، 1997.

10- عبد الله خاطر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، المنتدى الإسلامي للطباعة والنشر، جامعة الرياض، السعودية، ج1، ط1، 1412هـ.

- 11- عيد بوخليط ،غاستون باشلار، نحو نظرية في الأدب، دار الفارابي، بيروت لبنان ، ط1، 2011.
- 12- سمير سرحان: النقد الموضوعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر د ط، 1990م.
- 13- عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، 1963.
- 14- عبد الله الخاطر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، المنتدى الإسلامي للطباعة والنشر ، جامعة الرياض، السعودية، ج 1، ط1، 1412.
- 15- علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي، مطبعة العاني، بغداد، د ط، 1970.
- 16- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ضبط، وتخريج، وتعليق، مصطفى الذيب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط 4، 1990.
- 17- محمد عزام: المنهج الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، مجلة الفصيحة عن إتحاد العرب، ج1، ط 1، دمشق، سوريا، 1999.
- 18- محمد عزام: وجوه الماس، البنيات الجذرية، في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد العرب، دمشق، ط1، 1998.
- 19- محمد غنيمي الهلال: الرومانتيكية نهضة ،مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د، ت.
- 20- محمد محمد قاسم: المدخل إلى مناهج البحث العلمي دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.
- 21- يوسف وغيلسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ومنشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 1430 هـ_2008.
- 22- يوسف وغيلسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج، فعل الكلام، دار ركانة للكتاب، الجزائر، د ط، د ت.
- 23- يوسف وغيلسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، د. ط ، د. ت .
- 24- يوسف وغيلسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2007.

ب_ بالفرنسية

- 1- J Smitsimp : l'Académie Français ,dictionnaire L'Académie année 1798 .،Germain ،Française,5ém_ Lib Faubourg

ثالثا: المعاجم والموسوعات

- 1- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، دط، 1988.
- 2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج4، 2003 م.
- 3- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط 1 1979.
- 4- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، د، ط ، 1425 هـ، 2004 م .
- 5- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، مصر ، ط1.

رابعا: الرسائل

- 1- أحمد السعيد عبدلي: البنية الموضوعاتية في عوامل نجمة للكاتب ياسين أطروحة الدكتوراه إشراف أحمد منور، كلية الآداب واللغات، الجزائر 2009، 2008.
- 2- حفصة بوطالبي: عالم أبو العيد دودو القصصي، دراسة موضوعاتية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004، 2003
- 3- عائشة حمادي وإيمان زوقاح : رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح، دراسة موضوعاتية، من منظور جان بيير ريشارد، مذكرة ماستر، دراسات أدبية، محمد بوتالي، البويرة، الجزائر، 2017، 2016.

خامسا: الدوريات والمجلات

- 1- مسعودة لعريط : مفهوم المنهج الموضوعاتي في المقاربات الغربية الحديثة مجلة التبيين، ع 36، الجزائر ، 1 يناير، 2011.
- 2- هاني يحي نصري: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة، أفلاطون، مجلة المعرفة ع 452، أيار، 2001، الكويت ..

سادسا: المقالات

- 1- جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة، د، ب،

. Www.startimes.com 2015

2- جميل حمداوي : المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مقال، دنيا الرأي في

www.dovoob.com |2009\09\22.

3- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة دب، دط، د

س.

4- محمد بلوحي: النقد الموضوعاتي، أسس ومفاهيم، موقع ثقافي أسسه عبد الرحمان كاظم،

ينظر يوم 12\07\2003 الساعة 11:51.

5- محمد عزام: النقد الموضوعاتي 22 مارس 2021، 14:00 سا.

فهرس المحتويات

الصفحة	فهرس
-	البسمة
-	الشكر
أ-ر	المقدمة
6	الفصل الأول- المنهج الموضوعاتي - مفاهيم وأسس وإجراءات
9	أولا- مفهوم المنهج
9	1-1- عند الغرب
9	1-1-أ: لغة
9	1-1-ب: اصطلاحا
10	1-2- عند العرب
10	1-2-أ- لغة
11	1-2-ب- اصطلاحا
12	ثانيا- مفهوم الموضوع
12	1-2- عند الغرب
12	1-2-أ- لغة
12	1-2-ب- اصطلاحا
13	2-2: عند العرب
13	2-2-أ- لغة
14	2-2-ب- اصطلاحا
14	ثالثا- الموضوعاتية (المصطلح والمفهوم)
14	1-3- عند الغرب
16	2-3- عند العرب
17	رابعا- إرهابات المنهج الموضوعاتي
17	1-4- عند الغرب
19	2-4- عند العرب
21	خامسا- أهم رواد المنهج الموضوعاتي
21	1-5- عند الغرب

25	5-2- عند العرب
26	سادسا- الموضوعاتية وأهم تأثيراتها الفكرية والفلسفية
30	سابعا- علاقة الموضوعاتية بالمناهج الأخرى
33	ثامنا- الآليات الإجرائية للمنهج الموضوعاتي وأهم خطواته
37	تاسعا- خصائص المنهج الموضوعاتي و أهم خطواته
39	عاشرا- نقد المنهج الموضوعاتي.
43	خلاصة الفصل
45	الفصل الثاني
46	أولا- طفولته وشبابه
50	ثانيا- الصراع
54	ثالثا- الأحلام والرؤى
58	رابعا- الغربة
63	خامسا- الهوية
67	سادسا- الموت
70	سابعا- الحزن
72	ثامنا- القناع
74	تاسعا- الحرب
79	عاشرا- الحضارة
84	خلاصة
86	خاتمة
91	الملحق
93	ملخص الرواية
95	نبذة عن الكاتب حسين جميل البرغوتي
96	أهم أعماله
98	قائمة المصادر والمراجع
101	فهرس الموضوعات